الرابطة

السنة 59 العدد: 678 رجب 1444هـ . فبراير 2023 م

* الرابطة توفر ماء زمزم لزوار متاحف السيرة النبوية

* الرابطة شريكٌ استراتيجيٌّ لأكبر معرض عالميٍّ للارتقاء بخدمة ضيوف الرحمن

يوم التأسيس

١٧٢٧م

الرابطة
شهرية . علمية . ثقافية . تصدرها رابطة العالم الإسلامي
السنة 59 العدد: 678 رجب 1444هـ . فبراير 2023 م

الرابطة وأسبوع الوئام العالمي بين الأديان

أسبوعُ الوئام بين الأديان حدثٌ عالميٌّ تحتفل به منظمة الأمم المتحدة كل عام في أول أسبوع من شهر فبراير. وكانت الأمم المتحدة قد تبنت المبادرة بهذا الاحتفال اعتبارًا من عام ٢٠١٠م.

وتنص مبادرة الوئام بين الأديان على جمع الأديان السماوية على وصيتين أساسيتين: هما ركن وأساس العقائد الدينية المبنية على حب الله وحب الجار من دون المساس بأي من المعتقدات الدينية الخاصة بأتباع الأديان. وتقوم المبادرة أيضاً على "حب الخير، وحب الجار"، لتشمل كل أطراف النوايا الحسنة في العالم.

وتجد هذه المبادرة دعم ومؤازرة رابطة العالم الإسلامي، إذ ظلت الرابطة تحمل رسالة التعايش ونشر السلام بين الأديان في كل مناشطها التي يوليها معالي الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى كل العناية، إذ يجعلها في قائمة اهتماماته خلال جولاته حول العالم، عبر المؤتمرات واللقاءات والحوارات.

وقد نظمت الرابطة من قبل عدداً من الحوارات مع أتباع الرسالات الإلهية والحضارات والثقافات في مدريد وفيينا ونيويورك وغيرها. وكان أول قرار صادر من المجلس التأسيسي للرابطة خاص بموضوع الحوار في عام ١٣٩٦، وطالب البيان الختامي للملتقى العالمي للعلماء المسلمين عام ١٤٢٧ قادة العالم بدعم قضايا الحوار.

وكان المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار منطلقًا للاهتمام بالحوار بين أتباع الأديان، وحمل نداء مكة الصادر عن ذلك المؤتمر دعوة إلى التفاهم والتعاون بين أتباع الأديان على إشاعة القيم الفاضلة، وبناء منظومة عالمية للأخلاق تتصدى لهجمة الانحلال، والسعي معاً في عمارة الأرض وفق مشيئة الله تعالى.

وقد تضمنت "وثيقة مكة المكرمة" التي صدرت عن رابطة العالم الإسلامي موضوع الوئام بين الأديان وأعطته أهمية بالغة، حيث أكدت الوثيقة على أن "التنوع الديني والثقافي في المجتمعات الإنسانية لا يبرر الصراع والصدام، بل يستدعي إقامة شراكة حضارية إيجابية، وتواصلاً فعّالاً يجعل التنوع جسراً للحوار والتفاهم والتعاون لمصلحة الجميع".

ولا شك أن الرابطة تنطلق في التزامها بالوئام بين الأديان من تعاليم الدين الإسلامي التي تحث على هذا المبدأ وتشجع عليه، فالقرآن الكريم يجعل الأساس في العلاقة مع الأديان هو المجادلة بالحسنى مع الجميع إلا الذين ظلموا منهم.

وحثّ الإسلام على التسامح مما يعزز الوئام بين الأديان والتأكيد على المشتركات الدينية والأخلاقية التي تربط بينها.

المحتويات

العدد: ٦٧٨ ـ رجب ١٤٤٤ هـ ـ فبراير ٢٠٢٣ م

4 الرابطة شريك استراتيجي لأكبر معرض عالمي للارتقاء بخدمة ضيوف الرحمن

8 الرابطة توفر ماء زمزم لزوار متاحف السيرة النبوية

38 الحوار الحضاري في مبادرات رابطة العالم الإسلامي

الرابطة

شهرية - علمية - ثقافية

وكيل الاتصال المؤسّسي

أ. عبدالوهاب بن محمد الشهري

المدير العام للتحرير والنشر

أ. شاكر بن صلاح العدواني

رئيس التحرير

د. عثمان أبوزيد عثمان

المستشار الإعلامي

د. أحمد بن حمد جيلان

مدير التحرير

عبدالله باموسى

الرابطة توقّع اتفاقية تعاون علمية ثقافية مع أبراج الساعة بمكة المكرمة 6

إشكالية الدفن الأبدي لموتى المسلمين في بلدان إقامتهم 31

جهود رائدة في مكافحة الإرهاب الإلكتروني 44

المراسلات:
مجلة الرابطة ص.ب ٥٣٧ مكة المكرمة
هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٣٠٩٣٨٧

المراسلات على عنوان المجلة باسم
رئيس التحرير

البريد الإلكتروني:
mwljournal@themwl.org

الموضوعات والمقالات التي تصل إلى مجلة «الرابطة» لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

للاطلاع على النسخة الإلكترونية للمجلة
الرجاء زيارة موقع
الرابطة على الإنترنت:
www.themwl.org

طبعت بمطابع تعليم الطباعة
رقم الإيداع: ١٤٢٥/٣٤٣
ردمد: ١٦٥٨-١٦٩٥

الرابطة شريك استراتيجي لأكبر معرض عالمي للارتقاء بخدمة ضيوف الرحمن

مكة المكرمة:

بدعوةٍ من وزارة الحج والعمرة في المملكة العربية السعودية، تشارك رابطة العالم الإسلامي بوصفها "شريكاً استراتيجياً" في مؤتمر ومعرض خدمات الحج والعمرة (إكسبو الحج ٢٠٢٣)، وهو أكبر معرض على مستوى العالم متخصص في طرح وتقديم الخدمات والحلول المبتكرة للارتقاءِ بالخدمات المقدّمة لضيوف الرحمن، تحت مظلة رؤية السعودية ٢٠٣٠. وينطلق هذا العام تحت شعار "الجودة في منظومة الخدمات"، برعاية وحضور صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل، مستشار خادم الحرمين الشريفين، أمير منطقة مكة المكرمة.

ووجَّه معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي،

رئيس هيئة علماء المسلمين، فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، بأن تتضمّن هذه الشراكة الاستراتيجية إطلاق النسخة الأحدث من "المتحف الدولي للسيرة النبوية والحضارة الإسلامية"، خلال فعاليات "إكسبو الحج ٢٠٢٣"، ليمثّل المشاركة الحضارية الأهمَّ من نوعها في إبراز مضامين السيرة النبوية الشريفة، والحضارة الإسلامية، ولا سيما السيرة العطرة في المشاهد المباركة للحج والعمرة، في سياق متكامل ينسجم مع رؤية السعودية ٢٠٣٠، بتعزيز الباعث الإيماني للحاج والمعتمر والزائر.

ويشتمل المتحف الدولي للسيرة النبوية والحضارة الإسلامية على أعداد حافلة من الأقسام والأجنحة، حاملاً شعار "السيرة كأنك تعيشها"، منها: قسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكأنك معه في مكة المكرمة والمدينة المنورة، عبر مجسمات تاريخية وأطالس عصرية وتقنيات إبداعية مما يجعل الزائر يعيش تلك الحقبة وذلك الزمان بوجدانه الإيماني بمزيد من التفكر والتذكر والاعتبار وكأنه يعيش تلك الرحاب.

كما يشتمل المتحف على قسم إبداعيٍّ كبيرٍ عن الحج والعمرة والزيارة، وقسم الحجرة النبوية الشريفة، وهو قسمٌ خلابٌ يأخذ الزائر وكأنه داخل تلك الحجرة الشريفة عبر تقنية الواقع الافتراضي، والواقع المعزز، إضافة إلى قسم: "أعظم منبر بالدنيا"، وهو قسم يتعرَّف فيه الزائر على منبر النبي صلى الله عليه وسلم، وصفته وكأنه يراه، وقسم يشتمل على عرض وثائقي لجهود المملكة العربية السعودية في خدمة القرآن الكريم والسنة الشريفة والحرمين الشريفين، وخدمة ضيوف الرحمن.

بحضور الأمين العام

الرابطة توقّع اتفاقية تعاون علمية ثقافية مع أبراج الساعة بمكة المكرمة

مكة المكرمة:

بحضور معالي رئيس مجلس إدارة المتاحف والمعارض الدولية للسيرة النبوية والحضارة الإسلامية، الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، وقّعت رابطة العالم الإسلامي اتفاقية مع أبراج الساعة بمكة المكرمة، للتعاون في المجالات العلمية والحضارية، وفي طليعتها إبراز مضامين السيرة النبوية الشريفة والحضارة الإسلامية العريقة، وذلك عبر وسائل متعددة تتضمن عروضاً تقنيةً ومُتحفياتٍ وأطالس ومجسمات ومقتنيات، ومطبوعات بمختلف اللغات العالمية.

وقد وقّع الاتفاقية من جانب الرابطة سعادة الوكيل للشؤون التنفيذية الأستاذ نايف الشريف، ومن جانب أبراج الساعة سعادة الرئيس التنفيذي

الأستاذ عبد العزيز الموسى.

وذكر معالي الشيخ د. محمد العيسى أن هذه الاتفاقية تأتي بناءً على ما تمتلكه رابطة العالم الإسلامي من محتوى علميٍّ وثائقيٍّ بعروض عصرية متقدمة، تدعمها الخبرة المتميزة، والتي امتدت لنشاطات عالمية مُتفرِّدة في المعارض والمتاحف المخصصة لخدمة السيرة النبوية الشريفة، والتاريخ الإسلامي الحافل، منطلقة من المملكة العربية السعودية، قلب الإسلام وحاضنة مقدساته، حيث الحرمان الشريفان مكة المكرمة والمدينة المنورة، نواة هذه الانطلاقة القوية لهذه المتاحف والمعارض الدولية، ولا سيما أن المملكة العربية السعودية تمتلك المصدر الوثائقي والحصري لوقائع التاريخ الإسلامي في أهم وأبرز فصوله.

وقال معاليه: يأتي هذا التعاون منسجمًا مع رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠، وما تحمله من اهتمام كبير بإثراء الباعث الإيماني للحاج والمعتمر والزائر، ومن ذلك التعريف بالسيرة النبوية الشريفة، والحضارة الإسلامية العريقة. وأوضح معالي الشيخ محمد العيسى أن هذا التعاون يهدف من جانب آخر إلى تسليط الضوء على أنموذج مهم من الجهود التاريخية والاستثنائية التي تبذلها المملكة العربية السعودية لخدمة الشأن الإسلامي بعامة وهذه الموضوعات الروحية والعلمية بخاصة، ما يؤكد الاستحقاق الكبير والراسخ للشرف العظيم الذي اضطلعت به المملكة العربية السعودية لخدمة الإسلام والمسلمين، بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود حفظه الله، وسمو ولي عهده الأمين رئيس مجلس الوزراء صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز حفظه الله، بما يُبرز صورة ديننا النقي ومنهاجه الوسطي، من خلال التعريف الشامل والموثق بسيرة نبينا صلى الله عليه وسلم، وفي طليعة ذلك: الأدب النبوي الكريم بخُلقه العظيم، وتشريعه السمح الحكيم، كل ذلك عبر موسوعات شاملة وموثقة تحت شعار: "السيرة النبوية كأنك تعيشها"، تنبثق من رحاب البيت العتيق، مهبط الوحي، ومهد الإسلام، ومن المدينة المنورة مدينة المصطفى ومُهَاجَرِه عليه الصلاة والسلام.

وفق مذكرة تفاهم مع شركة الزمازمة:

الرابطة توفر ماء زمزم لزوار متاحف السيرة النبوية

جدّة:

وقّع المتحف الدولي للسيرة النبوية الذي تُشرف عليه رابطة العالم الإسلامي -الشريك الاستراتيجي لمؤتمر ومعرض خدمات الحج والعمرة (إكسبو الحج ٢٠٢٣)- مذكرةَ تفاهمٍ مع شركة الزمازمة؛ بهدف تعزيز التعاون في خدمة ضيوف الرحمن، وتعزيز الباعث الإيماني للحاجّ والمعتمر والزائر، في سياق متكامل يتواءم مع رؤية السعودية ٢٠٣٠.

ومثّلَ المتحفَ في التوقيع وكيل الاتصال المؤسسي في رابطة العالم الإسلامي، الأستاذ عبدالوهاب الشهري، ومثّلَ الشركة العضو المنتدب لها الأستاذ حسن أبو الفرج.

ونوّه الشهري، في هذه المناسبة، بهذا التعاون المهم مع إحدى أعرق الجهات العاملة في خدمة ضيوف الرحمن، مع إرثٍ ضارب في التاريخ الإسلامي، وفي

كل تفاصيل رحلة الحجيج، مؤكّداً اعتزازَ رابطة العالم الإسلامي بذلك، وحِرصها على التفاعل مع التطلعات السامية لرؤية السعودية ٢٠٣٠، في الارتقاء بخدمات الحج والعمرة وفق الهدي الشرعي، مع تطبيق أعلى المعايير المهنية والإنسانية.

وزفّ وكيلُ الاتصال المؤسسي لرابطة العالم الإسلامي، البشرى إلى زوار متاحف السيرة النبوية الشريفة، إذ سيكتمل عِقْد رحلتهم الإيمانية في أروقة متاحف السيرة "وكأنهم يعيشونها"، بالارتواء من ماء زمزم المبارك.

وقد تضمنَت المذكرة بنوداً عدّة أبرزُها التعريف بما توفِّره المملكة العربية السعودية من سبل الراحة والرعاية للحجاج والمعتمرين والزوار؛ ليؤدّوا عباداتهم من المناسك وغيرها بكل يسر وأمان، وكذا التنويه بالجهود التي تبذلها المملكة لرفع جودة الخدمات وإثراء رحلة الحج والاعتمار لضيوف الرحمن.

كما تضمنَت المذكرة في أبرز بنودها، التعاون في تأمين خدمات إضافية إثرائية؛ بتوزيع عبوات ماء زمزم للحجاج، في سلسلة المتاحف الدولية للسيرة النبوية والحضارة الإسلامية، إضافة إلى مجالات أخرى يتجلى فيها التعاون، وتتاح فيها فرصٌ للشراكة المستقبلية الأخرى.

الرابطة تدين الهجوم الارهابي بجمهورية مصر العربية

مكة المكرمة:

أدانت رابطة العالم الإسلامي الهجومَ الإرهابيَّ الذي استهدف حاجزًا أمنيًّا في مدينة الإسماعيلية بجمهورية مصر العربية، وأدّى إلى سقوط عددٍ من القتلى والمصابين.

جاء ذلك في بيانٍ للأمانة العامة للرابطة، ندّد فيه معالي أمينها العام، رئيس هيئة علماء المسلمين، الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، بهذا العمل الإجرامي، مجدِّدًا التأكيدَ على موقف الرابطة والعالم الإسلامي بأسره، الرافضِ والمُدِينِ للتطرُّف والعنف والإرهاب بكل أشكاله ومسبباته، مُعرِبًا -فضيلته- عن خالص التعازي لذوي الضحايا، ولمصر العزيزة قيادةً وحكومةً وشعبًا، وسائلًا الله تعالى أن يتغمّدَ المتوفينَ بواسع رحمته، ويسكنهم فسيح جناته، ويلهمَ ذويهم الصبر والسلوان، وأن يمُنَّ على المصابين بالشفاء العاجل، ويحفظَ مصر من كلّ سوءٍ ومكروهٍ.

mwlorg themwl.org

رابطة العالم الإسلامي
MUSLIM WORLD LEAGUE

طه يشيد بالحدث التاريخي لوثيقة مكة المكرمة

د. العيسى يستقبل أمين منظمة التعاون الإسلامي ومفتي البوسنة

د. العيسى والسيد طه خلال اللقاء

• استقبل معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، رئيس هيئة علماء المسلمين، الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، في مكتبه بمكة المكرمة، معالي الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي السيد حسين إبراهيم طه، يرافقه الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي الدولي بالمنظمة الأستاذ الدكتور قطب سانو.

وأشاد أمين المنظمة بالحدث التاريخي لوثيقة مكة المكرمة، التي تشرّفت برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود، ومبادرة صاحب السمو الملكي ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز يحفظهما الله.

فيما ثمّن معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي إقرار دول منظمة التعاون الإسلامي لوثيقة مكة المكرمة، للإفادة منها في المؤسسات الدينية والتعليمية

جانب من لقاء د. العيسى بأمين عام منظمة التعاون والوفد المرافق له

والثقافية، مشيداً باعتمادها في تدريب الأئمة ولا سيما في دول الأقليات، بوصفها أهم وثيقة إسلامية من نوعها في العصر الحديث، أجازها مفتو وعلماء الأمة الإسلامية. كما استقبل معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، فضيلة مفتي البوسنة والهرسك الشيخ حسين كفازوفيتش، الذي زار المملكة بناء على دعوة من الرابطة، وقد جرى خلال اللقاء استعراض عددٍ من الموضوعات ذات الاهتمام المشترك.

صورة جماعية تجمع معالي الأمين العام وفضيلة مفتي البوسنة والهرسك والوفد المرافق له

الأمين العام يلتقي سفير مملكة تايلاند

• التقى معالي الشيخ الدكتور محمد العيسى في مكتبه بالرياض سعادة سفير مملكة تايلاند لدى المملكة العربية السعودية السيد دارم بونثام. وخلال اللقاء أبدى الضيف اقتراح الجانب التايلاندي أن تقوم رابطة العالم الإسلامي بتدريب الأئمة في تايلاند، مع استعراض عدد من الموضوعات الأخرى.

د. العيسى يستقبل توني بلير

• في غداء عمل مشترك استقبل معالي الأمين العام، رئيس هيئة علماء المسلمين، الشيخ د. محمد العيسى، في مكتبه بالرياض، دولة رئيس الوزراء البريطاني الأسبق السيد توني بلير، وناقشا عدداً من القضايا ذات الاهتمام المشترك.

الأمين العام يستقبل سفير بلجيكا

• استقبل معالي الأمين العام، رئيس هيئة علماء المسلمين، الشيخ د. محمد العيسى، في مكتبه بالرياض، سعادة سفير بلجيكا لدى المملكة العربية السعودية، السيد باسكال غوريكوار. وناقش الجانبان عدداً من الموضوعات ذات الاهتمام المشترك.

د. العيسى يلتقي المستشار الأول بالمجلس الإسلامي البريطاني

• معالي الأمين العام رئيس هيئة علماء المسلمين، فضيلة الشيخ د. محمد العيسى التقى في مكتبه بمكة المكرمة السير إقبال سكراني المستشار الأول بالمجلس الإسلامي البريطاني. وتناول اللقاء جهود رابطة العالم الإسلامي لخدمة الجاليات المسلمة حول العالم، وأهمية وثيقة مكة المكرمة في هذا السياق.

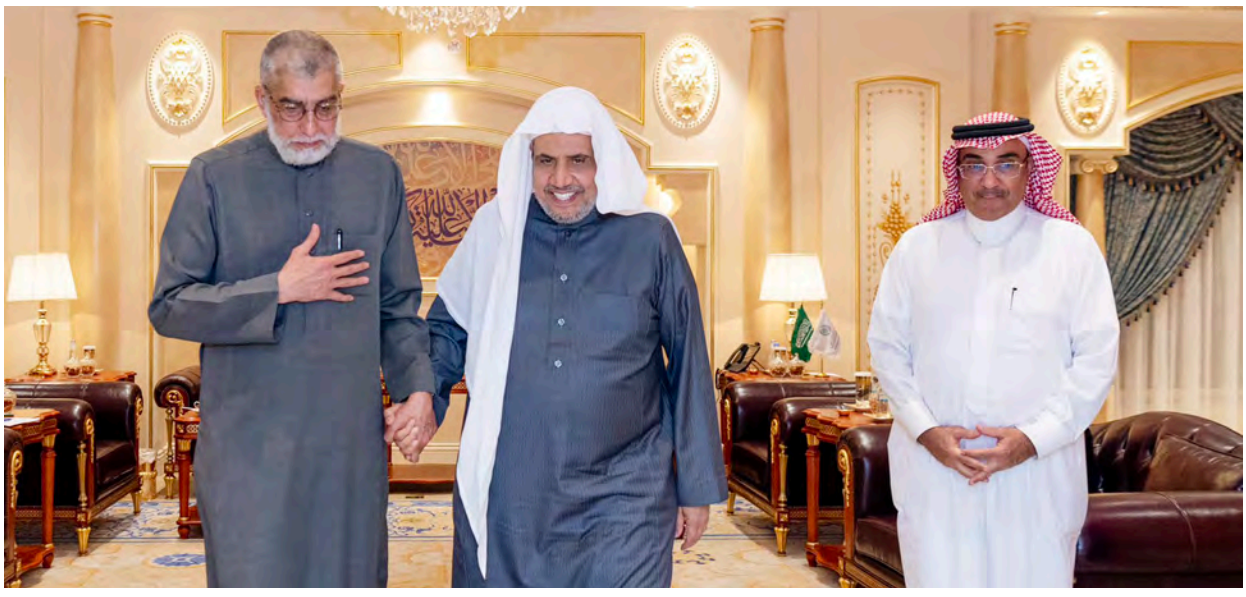

الرابطة تستنكر حرمان الفتيات الأفغانيات من التعليم

مكة المكرمة:

أبدت رابطة العالم الإسلامي رفضها وأسفها لقرار حكومة تصريف الأعمال الأفغانية منع النساء والفتيات الأفغانيات من حق التعليم الجامعي.

جاء ذلك في بيان للأمانة العامة للرابطة، استنكر فيه معالي أمينها العام، رئيس هيئة علماء المسلمين الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، هذا القرار المخالف لهدي الإسلام وإجماع علماء الأمة الإسلامية، والمنتهك للقيم الدولية والإنسانية حارما النساء والفتيات الأفغانيات من حقهن المشروع في التعليم وعموم الشعب الأفغاني من كفاءاته النسائية للإسهام في ازدهاره ونمائه.

وأعرب معاليه باسم رابطة العالم الإسلامي ومجامعها وهيئاتها ومجالسها العالمية، عن التضامن التام مع النساء والفتيات الأفغانيات وعموم الشعب الأفغاني في هذه القضية المهمة التي حثت عليها الشريعة الإسلامية وشملت بالحث عليها الجميع من رجال ونساء، وليس من حق أحد أو جهة تحت أي ذريعة الاستثناء العام في ذلك بإخراج النساء من طلب هذه الفريضة والفضيلة، ولا الاستثناء بتقييد ذلك بمراحل تعليمية معينة.

وباسم علماء الأمة الإسلامية المنضوين تحت مظلتهم الجامعة (رابطة العالم الإسلامي) من مفتين وكبار علماء دعا معاليه حكومة تصريف الأعمال الأفغانية العدول عن هذا القرار ومن ثم سلوك جادة إجماع علماء الإسلام بمختلف مذاهبهم وطوائفهم في هذا الشأن المهم.

رابطة العالم الإسلامي
MUSLIM WORLD LEAGUE
themwl.org
mwlorg

مهمة عاجلة لمؤسسات التعليم بالعالم الإسلامي

تدريس "وثيقة مكة المكرمة" بالجامعات

محمد الدسوقي ـ مصر

حظيت "وثيقة مكة المكرمة" باحترام عالمي مشهود؛ حتى إنها أصبحت من أهم مرجعيات المنظمات الدولية الكبرى ووثائقها، وفي مقدمتها الأمم المتحدة، ومنظمة التعاون الإسلامي، والجامعة العربية، ودور الإفتاء، والمجامع الفقهية، ومؤسسات التعليم والثقافة والإعلام التي أجمعت على دعم أهداف هذه الوثيقة التاريخية.

استجاب العالم -من خلال تلك المنظمات المهمة- لمبادئ الوثيقة؛ فصدرت قرارات دولية بتخصيص أيام عالمية للأخوة الإنسانية، وتجريم الاعتداء على دور العبادة، ومكافحة "الإسلاموفوبيا" وغيرها من الأمور التي نصت عليها الوثيقة.

نجحت "وثيقة مكة المكرمة" -التي صدرت بإجماع

علماء الأمة الإسلامية في مؤتمر عالمي استضافته رابطة العالم الإسلامي- في التعريف بسماحة الإسلام، وسمو أهدافه، ونبل مقاصده تجاه البشرية كلها. وواجهت بالحقائق جميع المحاولات الحاقدة والمزاعم الفاسدة الرامية إلى تشويه صورته.

وتعدّ الوثيقة نقلة حضارية عصرية في دعم التعاون بين المسلمين والعالم، حيث تفتح الباب واسعاً لتحقيق خير البشرية.

وانطلاقا من هذه الحقائق المهمة تتأكد الحاجة إلى دعوة الجامعات والمعاهد التعليمية والتربوية في العالم الإسلامي إلى إدراج "وثيقة مكة المكرمة" ضمن مناهجها التعليمية الثقافية الأساسية؛ للاستفادة منها في تنشئة أجيال جديدة تحمل الخير والسلام والأمان لأوطانها والبشرية كلها، وترفض الأفكار المنحرفة، وفي مقدمتها التطرف والإرهاب والدعوات الإلحادية.

إن تدريس "وثيقة مكة المكرمة" بجامعات العالم الإسلامي ومعاهده ضمان لتحصين المجتمعات بالفكر الإسلامي الصحيح، وتوعية الأجيال الجديدة بحقائق ديننا الحنيف، وتعزيز دورها في تحقيق أهداف الوثيقة، وفي مقدمتها إقامة نظام عالمي عادل، ونشر الأمن والسلام، وتحقيق المساواة، وترسيخ حقوق الإنسان، ودعم أواصر الأخوة الإنسانية في العالم.

مسؤولية مؤسسات التعليم

أكدت الوثيقة مسؤولية مؤسسات التربية والتعليم في تحصين المجتمعات المسلمة بالفكر الصحيح البعيد عن الغلوّ والتطرف والتكفير، فقالت في مادتها العشرين: "تحصين المجتمعات المسلمة مسؤولية مؤسسات التربية والتعليم بمناهجها ومعلميها وأدواتها ذوات الصلة...".

فإذا كانت هذه رؤية "وثيقة مكة المكرمة" لمسؤولية المؤسسات التربوية والتعليمية؛ فإن الواجب يقتضي أن تسارع تلك المؤسسات إلى وضع وثيقة مكة المكرمة ضمن مناهجها التعليمية الثقافية اللازمة لبناء الأجيال الجديدة على محبة الأوطان،

وثيقة مكة المكرمة

The Makkah Charter

تحصين الأجيال الجديدة بحقائق الإسلام في جميع المجالات

تدريس الوثيقة يحمي الشباب من الأفكار المنحرفة والإلحادية

وصيانة مقدساتها، وحماية مصالحها العليا، والذود عن مكاسبها الحضارية في شتى المجالات.

الوثيقة نفسها دعت في مادتها العشرين إلى توعية العاطفة الدينية للمجتمعات، "والأخذ بأيديها نحو مفاهيم الوسطية والاعتدال، والحذر من الانجرار السلبي إلى تصعيد المؤامرة، والصدام الديني والثقافي، أو زرع الإحباط في الأمة، أو ما كان من سوء ظن بالآخرين مجردٍ أو مبالغٍ فيه".

هوية الشباب المسلم

وأفردت الوثيقة مادتها السابعة والعشرين للعناية بالشباب المسلم وحمايته من الوقوع في براثن

"الوثيقة": مؤسسات التعليم مسؤولة عن حماية المجتمعات المسلمة

مبادئ الوثيقة سبيل مضمون لخروج العالم من أزمته الحضارية

الفكر المنحرف؛ فدعت إلى "تعزيز هوية الشباب المسلم بركائزها الخمس: الدين، والوطن، والثقافة، والتاريخ، واللغة، وحمايتها من محاولات الإقصاء أو الذوبان المتعمد وغير المتعمد...".

وشددت الوثيقة بكلمات قوية واضحة على ضرورة "حماية الشباب من أفكار الصدام الحضاري والتعبئة السلبية ضد المخالف، والتطرف الفكري بتشدده أو عنفه أو إرهابه".

وأكدت أهمية "تقوية مهارات تواصل الشباب مع الآخرين بوعي يعتمد أفق الإسلام الواسع وأدبه المؤلف للقلوب، ولا سيما قيم التسامح والتعايش بسلام ووئام يتفهم وجود الآخر، ويحفظ كرامته وحقوقه، ويرعى أنظمة الدول التي يقيم على أرضها، مع التعاون والتبادل النافع معه، وفق مفاهيم الأسرة الإنسانية التي رسخ الإسلام مبادئها الرفيعة".

منتدى عالمي للشباب

وحرصا على تفعيل البرامج العملية لرعاية الشباب أكدت الوثيقة "أهمية إيجاد منتدى عالمي، بمبادرة إسلامية، يُعنى بشؤون الشباب بعامة، يعتمد ضمن برامجه: التواصل بالحوار الشبابي البناء مع الجميع في الداخل الإسلامي وخارجه، متبنياً أطروحات الشباب وإشكالاتهم كافة، بوضوح ومصارحة تامة، من خلال كفاءات تتميز بالعلم والحس التربوي، تتبادل مع الشباب الحوار والنقاش

بخطاب موازٍ يتفهم مرحلتهم ومشاعرهم، تلافياً لغياب مضىً أحدث فراغاً، وعاد بنتائج سالبة".

والمتأمل في مبادئ الوثيقة يلمس بوضوح تام حرصها على التنشئة السليمة للأجيال الجديدة منذ الصغر، حيث تقرر أن "العناية بالطفل صحيا وتربويا وتعليميا في طليعة مسؤوليات الدول والهيئات والمؤسسات الأممية والأهلية ذوات الصلة، فضلا عن مسؤوليات الأسرة، وبخاصة العمل على صياغة فكره بما يوسع آفاقه ويعزز قدراته، ويمكن لفرص إبداعه ومهارات تواصله، ويحصنه من الانحراف".

ومن أبرز دروس هذه الوثيقة للأجيال الجديدة تأكيدها، في غير لبس أو غموض، أن المسلمين جزء من هذا العالم بتفاعله الحضاري، يسعون للتواصل مع مكوناته كافة لتحقيق مصلحة البشرية، وتعزيز قيمها النبيلة، وبناء جسور المحبة والوئام الإنساني، والتصدي لممارسات الظلم والصدام الحضاري وسلبيات الكراهية.

مناهج تربوية عملية

إن جامعاتنا العربية والإسلامية مدعوة إلى تحويل مبادئ وثيقة مكة المكرمة إلى مناهج تربوية عملية؛ لتكوين أجيال جديدة قادرة على تحصين أوطانها، وحماية مقدراتها، ودعم الأمن والسلم الدوليين، واحترام حقوق الآخرين، وترسيخ القيم الأخلاقية النبيلة، وتشجيع الممارسات الاجتماعية السامية، والتعاون في التصدي للتحديات الأخلاقية، والبيئية، والأسرية، وفق المفاهيم الإسلامية والإنسانية المشتركة.

ولا يخفى أن تدريس مبادئ الوثيقة بالكليات والمعاهد يحقق الكثير من المكاسب للأجيال الجديدة، حيث يسهم في إيجاد تقارب فكري حقيقي من شأنه أن يقود إلى تعاون جاد في مواجهة التحديات التي تعانيها الأمة حاضرا ومستقبلا بمختلف المجالات.

ومن أهم مكاسب تدريس "وثيقة مكة المكرمة" لشباب الجامعات بيان حقيقة أنها نجحت في طرح الحلول الإسلامية الناجعة لكثير من المشكلات

ترسيخ مفهوم المواطنة القائم على المساواة في الواجبات والحقوق

تجريم دعم الحركات الإرهابية بالمال أو السلاح أو التخطيط أو التبرير

التي أرّقت العالم زمنا طويلا حتى ظن البعض أنها استعصت على الحل.

سلوك حضاري دائم

ما أحوج الشباب المسلم إلى الوعي العميق بمبادئ الوثيقة، وتحويلها إلى سلوك حضاري دائم في ممارساته الحياتية داخل مجتمعه وخارجه؛ ففي ذلك ما ينفي عن الإسلام تلك الصور المسيئة

والأفكار الغريبة التي يحاول خصومه وصمه بها كذبا وزورا.

إن الوثيقة تحمل دعوة صريحة إلى تجاوز المقررات والمبادرات والبرامج كافة طرحها النظري، وشعاراتها الشكلية، وتكاليفها غير المجدية إلى الفاعلية من خلال أثر إيجابي ملموس، يعكس الجدية والمصداقية، وقوة المنظومة، وبخاصة ما يتعلق بإرساء الأمن والسلم الدوليين، وإدانة أساليب الإبادة الجماعية، والتطهير العرقي، والتهجير القسري، والاتجار بالبشر، والإجهاض غير المشروع.

وما أحوج الشباب المسلم إلى اليقين بأن "وثيقة مكة المكرمة" تلبي حاجة البشرية في هذه المرحلة الحرجة من تاريخها إلى مبادئ الإسلام وحقائقه، وتنير معالم الطريق نحو بناء السلام العالمي، وصون حقوق الإنسان على أسس العدالة والإنصاف والمساواة والأمن.

إن مبادئ الوثيقة سبيل مضمون للخروج من الأزمة الحضارية التي تعيشها الإنسانية في الوقت الحاضر، والانتقال إلى مرحلة جديدة تسود فيها القيم الإنسانية، لتعلي الإخاء والمحبة والتعاون، والاحترام المتبادل، والحوار الهادف، والتعايش الصادق، والوئام الدائم بين الأمم والشعوب.

حياة كريمة للإنسان

إن الوعي بمبادئ "وثيقة مكة المكرمة" يضعنا بيسر وسهولة أمام حقيقة أنها تستمد من تعاليم ديننا الحنيف وقيمه ضمانات الحياة الكريمة لكل إنسان من خلال غرس المبادئ الآتية في نفوس المسلمين، خاصة الأجيال الجديدة، وتحويلها إلى سلوك دام في مختلف جوانب الحياة:

- الأديان تدعو إلى السلام، والتعارف، والأخوة الإنسانية، والعدل، والإحسان، وحماية النشء من الفكر المنحرف.

- الحرية المنضبطة حق لكل إنسان: اعتقادا، وفكرا، وتعبيرا، وممارسة.

- تجرم إكراه الناس على دين بعينه أو ثقافة محددة، أو أسلوب حضاري لا يقبله الآخر.

- العدل القائم على الرحمة هو السبيل للوصول إلى حياة كريمة لكل إنسان.

- ثقافة التسامح وقبول الآخر والتعايش تسهم في احتواء كثير من المشكلات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والبيئية.

- حماية دور العبادة واجب تكفله الأديان، والقيم الإنسانية، والمواثيق والأعراف الدولية، ومحاولة الاعتداء عليها خروج عن تعاليم الأديان، وانتهاك للقوانين الدولية.

- الإرهاب ليس نتاجا للدين، حتى وإن رفع الإرهابيون لافتاته، ولبسوا شاراته، بل هو نتيجة لتراكمات المفاهيم الخاطئة لنصوص الأديان.

- يجب وقف دعم الحركات الإرهابية بالمال أو بالسلاح أو التخطيط أو التبرير أو الغطاء الإعلامي، واعتبار ذلك جرائم دولية تهدد الأمن والسلم العالميين.

- ترسيخ مفهوم المواطنة القائم على المساواة في الواجبات والحقوق لينعم في ظلالها الجميع بالعدل.

- العلاقة بين الشرق والغرب ضرورة للطرفين؛ فبإمكان كل منهما أن يجد لدى الآخر ما يساعد في حل بعض مشكلاته.

- ضرورة الانتباه للفوارق الدينية والثقافية والتاريخية التي تدخل عنصرا أساسيا في تكوين شخصية المسلم، وثقافته وحضارته.

- الاعتراف بحق المرأة في التعليم والعمل، وتحريرها من الضغوط التاريخية والاجتماعية المنافية لثوابت عقيدتها وكرامتها.

- إن حقوق الأطفال الأساسية في التنشئة الأسرية، والتغذية، والتعليم، والرعاية واجب على الأسرة والمجتمع، وإدانة أية ممارسة تخل بها.

- حماية حقوق المسنين والضعفاء وذوي الاحتياجات الخاصة ضرورة دينية ومجتمعية يجب العمل على توفيرها وحمايتها.

20 ديسمبر
#اليوم_العالمي_للتضامن_الإنساني
قِيمُ التَّضـامنِ الإنسـانيِّ في
وثيقة مكة المكرمة
تحفيز مبادرات عالمية لمواجهة:
الجـوع
الفقر
المرض
الجهل
التمييز العنصري
التدهور البيئي
تعزيز التضامن الحكومي والأممي والأهلي، من أجل:
01
صيانة الكرامة الإنسانية
02
حفظ حقوق الإنسان
mwlorg
themwl.org
رابطة العالم الإسلامي
MUSLIM WORLD LEAGUE

المزايا الأنيقة لمضامين الوثيقة

بقلم: د. أحمد بن حمد جيلان
المستشار برابطة العالم الإسلامي

استشعرت رابطة العالم الإسلامي برعاية كريمة من خادم الحرمين الشريفين أهمية ولادة وثيقة شاملة من القبلة الجامعة من مكة المكرمة، لتكون وثيقة تاريخية ودستوراً عالمياً؛ تبني الوجدان في الإنسان وتعمر الأوطان بتنوع الأديان، فجاءت "وثيقة مكة المكرمة" لتبرهن للعالم بأن المملكة العربية السعودية راعية السلام، والقبلة الجامعة لأهل الإسلام، وعموم الإنسانية المتطلعين إلى السلام.

كُتبت "وثيقة مكة المكرمة" التاريخية بمكة في الخامس والعشرين من شهر رمضان لعام 1440هـ الموافق 30 مايو 2019م، على هامش المؤتمر الدولي حول قيم "الوسطية والاعتدال" الذي نظّمته رابطة العالم الإسلامي. فكانت وثيقة مكة

المكرمة امتدادا لوثيقة المدينة في العهد النبوي التي عقدها النبي صلى الله عليه وسلم قبل 14 قرنًا، وهي امتداد أيضا للوثيقة العمرية التي كتبها الخليفة عمر بن الخطّاب عام 15هـ لأهل القدس عندما فتحها المسلمون عام 638م، وأمّنهم فيها على كنائسهم وممتلكاتهم.

تميزت "وثيقة مكة المكرمة" بعدد من المزايا الأنيقة والتي منها:

وُلدت هذه الوثيقة في زمان ومكان شريفين، فجمعت هذه الوثيقة بين شرف الزمان وهو العشر الأواخر من رمضان الذي تعظم فيه أجور الطاعات، فالعمرة والصدقة في رمضان ليست كأي عمرة وصدقة، وليلة القدر ليست كأي ليلة، وكل الأعمال الصالحة والأحداث في رمضان ليست كأي عمل وحدث، وشرف المكان وهي "مكة المكرمة" الرحاب الطاهرة، والمسلمون في كل مكان يتجهون إلى هذا المكان الطاهر في صلواتهم، ويعظمون البيت العتيق؛ لأن الله عظّمه وأحبه، فجمعت رابطة العالم الإسلامي بين قداسة وشرف الزمان وقداسة وشرف المكان، وزادت عليهما شرف العمل، حيث بادرت باختيار كريم لهذا الاجتماع الكبير، وهو إصدار وثيقة عالمية للإنسانية تنطلق من القبلة الجامعة.

ومن المزايا الأنيقة لهذه الوثيقة: الحضور والجمع المتنوع التاريخي، حيث صدرت هذه الوثيقة عن كبار علماء المسلمين من كل المذاهب والقارات، حيث بلغوا 1200 شخصية إسلامية من 139 دولة يمثلون 27 مكوناً إسلامياً، حتى أصبحت مرجعية للمنظمات الدولية والجمعيات لكونها جامعة شاملة.

ومن المزايا الأنيقة لهذه الوثيقة: الجمع بين الأصالة والمعاصرة، والمضامين الرحبة لمعاني الحزم والرحمة، والتواصل الحضاري المتألق، والصراحة والصرامة التي تضمن بناء نسيج الأمة في وحدة تاريخية ورابطة عالمية.

ومن المزايا الأنيقة لهذه الوثيقة: الشمولية لكل ما يتعلق بسمو الإنسان وعمارة الأوطان وتعايش أتباع الأديان.

ومن المزايا الأنيقة لهذه الوثيقة: تعزيز تاءات البناء: التعايش – التسامح – التعاون – التحاور – التفاعل – التفاهم – التشارك – التبادل – التنوع، وكلها مصطلحات إيجابية وقيم رائدة تنسجم مع الأخلاق الحسنة لتكون إحدى مقومات الشخصية المعتدلة، فالإنسان مكون من جسد وروح، وهذه القيم تغذي روح الإنسان الباطنة، وتمثّل صورته الظاهرة.

ومن المزايا الأنيقة لهذه الوثيقة: التحذير من تاءات الإساءة: التكفير – التحريض – التعالي – التصادم – التقاتل – التناحر– التنابز– التخاصم – التنافر.

ومن المزايا الأنيقة لهذه الوثيقة: معالجة أسس المشاكل الدولية في سبعة عشر مبدأ، ومكافحة كل أشكال الإرهاب والتطرف والتمييز وخطاب الكراهية والإقصاء والإسلاموفوبيا، والشعارات العنصرية، ودعاوى الاستعلاء وأوهام التفضيل المصطنعة، والرفض بكل وضوح تام: التدخّل في شؤون الدول الأخرى والتحذير من ذلك والرفض للربط بين الدين والممارسات الخاطئة من المنتسبين إليه سواءً في الدين أو السياسة أو السلوك.

ومن المزايا الأنيقة لهذه الوثيقة: تعزيز هوية الشباب المسلم بركائزها الخمس: الدين والوطن والثقافة والتاريخ واللغة، والتحذير من إقصاء الشباب، والتأكيد على أهمية تحصينه من الصدام الحضاري والتطرف الفكري.

ودعت الوثيقة لإيجاد منتدى عالمي بمبادرة إسلامية يهتم بشؤون الشباب عامة ويعتمد على الحوار

الشبابي البنّاء.

كما أوضحت الوثيقة "احترام المواطنة الشاملة"، كونها استحقاقا من الدولة تمليه مبادئ العدالة الإسلامية لعموم التنوع الوطني.

وأكّدت على مواطنيها واجبَ الولاء الصادق، والمحافظة على الأمن والسلم الاجتماعي، ورعاية حمى المحرمات والمقدسات.

ومن المزايا الأنيقة لهذه الوثيقة: التعريف بحقيقة الإسلام عمليا وليس نظريا وذلك بإبراز سماحته وترسيخ القيم الأخلاقية النبيلة، والتأكيد على أنه لا يُبرِم شأن الأمة الإسلامية ويتحدث باسمها في أمرها الديني إلا علماؤها الراسخون، وبراءة الأديان والمذاهب من مجازفات معتنقيها ومدعيها، وأن المسلمين جزء من هذا العالم، فلا بد من التفاعل والتواصل والحوار وتكريم مبدأ الإخوة الانسانية، بين مختلف مكوّنات المجتمع الإنساني، واحترام الاختلاف، وأنه معطى إلهي وسنة كونية وثروة للبشرية، وليس سبباً للصراع والصدام.

وضرورة استثمار التنوع لإقامة شراكة حضارية إيجابية، وذلك بمد جسور التواصل والتعاون واعتبار الحوار الحضاري أفضل السبل للتفاهم وتجاوز معوقات التعايش، وأهمية سنّ التشريعات الرادعة لمروّجي الكراهية، والمحرّضين على العنف والإرهاب والصدام، والتصدي لممارسات الظلم والقهر والعدوانية والصدام الحضاري والكراهية، ورفض استغلال مقدرات الشعوب، وانتهاك حقوق الإنسان، ونبذ أساليب الهيمنة.

وأوضحت الوثيقة أن صاحب الحق ليس بحاجة إلى الصراع وسلبيات الجدال والسجال العقيم ولا الإكراه والازدراء والاستفزاز، فليس عليك هداهم، فضلا عن إكراههم، إنما عليه البلاغ وكفى.

ومن المزايا الأنيقة لهذه الوثيقة أن قضية المرأة شكلت نقطة توقف المجتمعين بمكة المكرمة، حيث دعوا إلى إكرامها وتمكينها وعدم تهميش دورها أو امتهان كرامتها، أو إعاقة فرصها في المشاركة في تحقيق القيمة المضافة على جميع المستويات.

ونصت الوثيقة على أن التنوع لا يبرر التطرف والعنصرية إنما يؤكد على التواصل والتسامح، وأبانت الوثيقة على أهمية تجاوز الأحكام المسبقة المحمّلة بعداوات التاريخ التي صعدت من مجازفات الكراهية ونظرية المؤامرة، والتعميم الخاطئ لشذوذات المواقف والتصرفات، مع التأكيد على أن التاريخ في ذمة أصحابه، وبراءة الأديان والفلسفات من مجازفات معتنقيها ومدعيها.

وأوضحت الوثيقة أن "الانغلاق على الذات يعمل على تجذير الكراهية، واستنبات العداء بين الأمم والشعوب، ويحول دون تحقيق مطلب العيش المشترك، والاندماج الوطني الإيجابي، وبخاصة في دول التنوع الديني والإثني، كما أنه في عداد المواد الأولية لصناعة العنف والإرهاب".

وتناولت الوثيقة أهمية "تحصين المجتمعات المسلمة من أفكار التطرف، والحذر من الانجرار السلبي إلى تصعيد نظريات المؤامرة، والصدام الديني والثقافي، أو زرع الإحباط في الأمة، أو ما كان من سوء ظن بالآخرين؛ مجردٍ أو مبالغٍ فيه".

ختاما لم تكن "وثيقة مكة المكرمة" مجرد ردة فعل أو موقف مرتبط بحادثة معينة، إنما الخيار الأمثل والمشروع الأنبل، حيث أطلقت نداءً لصناعة عالم يسوده السلام والعدل والسكينة، وبلغ صداها الآفاق بفضل الله ورحمته.

السعودية .. ثلاثة قرون في خدمة الإسلام

إعداد: عبد الله حسين

صدر الأمر الملكي الكريم من خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود بأن يكون يوم (22 فبراير) يوماً للتأسيس، وهو اليوم الذي يرمز إلى العمق التاريخي والحضاري والثقافي للمملكة العربية السعودية عندما أسس الإمام محمد بن سعود - رحمه الله- الدولة السعودية الأولى عام 1139هـ/ 1727م.

ويعدُّ تأسيس الدولة السعودية الأولى بداية الجذور الراسخة لتاريخ الدولة السعودية بمراحلها كافة. ففي عهد الإمام محمد بن سعود تمكّن من نشر الأمن والاستقرار في الدرعية، ومدّ نفوذه على بعض البلدات المجاورة، وتحسن الوضع الاقتصادي، وجذب كثيرًا من السكان للانتقال إليها، وأصبحت إمارة الدرعية مستقلة عن أي نفوذ سياسي خارجي.

ولذلك يُعدّ عهده البداية المهمة للجذور الراسخة في تاريخ الجزيرة العربية، حيث تغيَّر شكل الحكم من إمارة إلى دولة، مما يجعله تأسيسًا منطقيًّا وشاملًا ويبقى مخلدًا. ففي هذا التاريخ مناسبة وضع اللبنة الأولى لقيام دولة الوحدة والحكم الرشيد والشعب المخلص، بما لهذا الحدث من وقع مؤثر ومفصلي في التاريخ الحديث للجزيرة العربية.

البدايات المباركة

أسس الدرعية الأمير مانع بن ربيعة المريدي - رحمه الله- عام 850هـ/ 1446م، وهو الجد الثاني عشر للملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود -طيب الله ثراه- مؤسس المملكة العربية السعودية.

وبحسب المصادر التاريخية فقد حكم الأمير مانع المريدي وأبناؤه وأحفاده الدرعية التي أصبحت مركزاً حضارياً، وتميزت بموقعها الجغرافي في كونها مفترق طرق تجارية ما بين شمال وجنوب الجزيرة العربية، مما أسهم في تعزيز حركة التجارة فيها وفي المناطق المجاورة.

الدولة الأولى

أسس الإمام محمد بن سعود - رحمه الله- الدولة السعودية الأولى عام 1139هـ/ 1727م وعاصمتها الدرعية، واستمرت حتى عام 1233هـ/ 1818م. شهدت الدولة السعودية الأولى تنظيم الموارد الاقتصادية، والتفكير في المستقبل، حيث كان الإمام محمد بن سعود يحب الخلوة والتأمل والتفكر، كما جرى في هذا العهد بناء حي جديد في سمحان وهو حي الطرفية والانتقال إليه بعد أن كان حي غصيبة هو مركز الحكم لفترة طويلة.

وخلال عهد الإمام محمد بن سعود، ومن بعده من الأئمة أصبحت مدينة الدرعية عاصمة لدولة مترامية الأطراف، ومصدر جذب اقتصادي واجتماعي وفكري وثقافي، وتحتضن على ترابها معالم أثرية عريقة مثل: حي غصيبة التاريخي، ومنطقة سمحان، وحي الطريف الذي وُصف بأنه من أكبر الأحياء الطينية في العالم، وتمّ تسجيله في قائمة التراث الإنساني في منظمة اليونسكو، ومنطقة البجيري، وسوق الدرعية، إضافة إلى أن النظام المالي للدولة وصف بأنه من الأنظمة المتميزة من حيث الموازنة بين الموارد والمصروفات.

وقد هاجر كثير من العلماء إلى الدرعية من أجل تلقي التعليم والتأليف الذي كان سائدًا في وقتها، مما أدى إلى ظهور مدرسة جديدة في الخط والنسخ.

قصص موثقة

لقد أبرزت دارة الملك عبدالعزيز قصصًا موثقة عن الإمام محمد بن سعود تعكس نظراته في الحياة الاجتماعية والسياسية ورؤيته لمجتمعه، والقيم التي كانت ترتكز عليها مبادئه الشخصية في إدارة شؤون الحكم، وقد مثلت واقعًا عن الإمام محمد بن سعود تناقلته كتب المؤرخين واحتفظت به الذاكرة الوطنية وأصبحت تطبيقًا ودليلاً عن صفات الحكمة والعدل والأمن والوقوف بجانب الحق في شخصيته، ثم في السياسة الداخلية والخارجية للدرعية.

تقول إحدى الروايات أن الإمام محمد بن سعود قدّم مبلغ (4000) من الذهب لتاجر من منطقة القصيم اسمه ناصر بن إبراهيم وفد إليه في العاصمة الدرعية كان قد خسر تجارته، وحين سئل الإمام عن سر

تقديمه هذا المبلغ لرجل لا يعرف إلا اسمه قال بحكمة مردها إنسانيته العالية: حتى لا يقع الكرم لقمة سائغة للسُّفَّل، ورواية أخرى معروفة لدى المؤرخين والمتخصصين إلا أنها بعيدة من متناول العامة تتحدث عن حرصه على تزويج الشباب لتحقيق الأمن الاجتماعي.

الدولة الثانية

امتدادًا للدولة السعودية الأولى تمكن الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود -رحمه الله- عام 1240هـ/ 1824م، من استعادتها وتأسيس الدولة السعودية الثانية التي استمرت إلى عام 1309هـ/ 1891م.

وتمكن الإمام تركي من توحيد معظم أجزاء شبه الجزيرة العربية في مدة قصيرة، مستمرًا على المنهج الذي قامت عليه الدولة السعودية الأولى، وهو حفظ الأمن والتعليم والعدل والقضاء على الفرقة والتناحر، وظلت الدولة تحكم المنطقة حتى عام 1309هـ/ 1891م.

الدولة الحديثة

أسس الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود -طيب الله ثراه- الدولةَ السعودية الثالثة، وذلك بعد فراغ سياسي وفوضى في وسط شبه الجزيرة العربية استمر قرابة عشر سنوات، إذ تمكن الملك عبدالعزيز آل سعود في الخامس من شهر شوال عام 1319هـ / الخامس عشر من يناير 1902م من إعادة تأسيس الدولة السعودية الثالثة، ووحدها باسم

المملكة العربية السعودية، وسار أبناؤه الملوك من بعده على نهجه في تعزيز بناء هذه الدولة ووحدتها.

أهل العوجا

عرفت عبارة "أهل العوجا" كنخوة مهمة ارتبطت بالدولة السعودية، وبجميع ما ينضوي تحت لوائها، وهي كأي نخوة مرتبطة بمعنى ودلالة، فتعود مكانيًّا للدرعية وإنشاء دولة قوية نشرت الأمن والاستقرار في الجزيرة العربية، وأيدت الدعوة الإصلاحية، كما جاء في القرآن الكريم وسنّة نبيه المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم.

وجاء الاهتمام بتوثيق هذه النخوة بناء على إيضاح مهم بشأنها قدّمه خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز - رعاه الله- عندما كان أميراً لمنطقة الرياض، نشر في الصحافة قبل سنوات، باعتبار خبرته الواسعة ومعرفته التاريخية الوطنية القيمة، مما جعل دارة الملك عبدالعزيز توثق ذلك عبر إصدارها "أهل العوجا" للمؤلف الدكتور فهد بن عبدالله السماري، تضمن الآراء المثارة عن هذا المصطلح، مشيرًا إلى أن هناك عددًا من التفسيرات التي تناولت معنى النخوة "العوجا" في محاولة لتفسيرها، وهي: اسم لفرس عربية مشهورة، أو اسم قطيع من الإبل المشهورة، أو يقصد بها الدعوة إلى الدين الصحيح، أو كلمة "لا إله إلا الله"، أو الملة الحنيفية، أو اسم لمكان.

وقال الدكتور السماري: إن معنى "العوجا" في هذه النخوة المؤثرة يعود إلى المكان، وهو هنا الدرعية عاصمة الدولة السعودية وملتقى طرق التجارة والحج من الجنوب إلى الشمال، ومن الشرق إلى الغرب والعكس، ومنطلق بناء دولة راسخة وقوية وذات نفوذ واسع، مشيرًا إلى أن الافتخار هنا أصبح مرتبطًا بالمكان الذي قدم الوحدة والدولة الذي ارتبط به أيضًا افتخار آخر؛ هو أن طبيعة الدرعية كمدينة على ضفاف وادي حنيفة المتعرج جعلها مصدر اعتزاز وقوة لأهاليها والتابعين لها.

وأشار الدكتور السماري إلى أن هذه النخوة ممتدة عبر تاريخ الأسرة المالكة (آل سعود) العريق في وسط الجزيرة العربية، الذي نتج عنه تأسيس الدولة السعودية إلى يومنا هذا، حيث كانت نخوة أجدادهم آل مقرن مثل (خيّال العوجا).

وأضاف أن الشعر هو مصدر من المصادر التي تدل على المعاني المقصودة، وبالرجوع إلى العديد من القصائد القديمة يتبين أن الشعراء استخدموا كلمة "العوجا" بكل وضوح للدلالة على المكان وهو الدرعية، وتأتي هذه الكلمة "العوجا" لوصف الدرعية التي تتسم من الناحية الجغرافية الطبيعية بالموقع غير المستقيم، والذي فرضه تكوين المنطقة على طرفي وادي حنيفة المتعرج، وهو ما أشارت إليه المعاني اللغوية لكلمة "العوجا"، حيث تبين إطلاقها في الغالب على وصف الشيء المادي بالاعوجاج.

وأشار إلى استمرار استخدام هذه النخوة في عهد الملك عبدالعزيز -رحمه الله- للدلالة على ارتباط المملكة العربية السعودية بمنطلق تأسيس الدولة السعودية في الدرعية، وإذا نظرنا إلى عدد من القصائد المبكرة والمتأخرة نجد أن كلمة "العوجا" استخدمت لاستنهاض الهمم والفخر والاعتزاز لدى الأهالي في البلاد السعودية، والأهم من هذا هو استخدام كلمة "العوجا" للدلالة على أنها تعني المكان، وليس كما ورد في بعض الآراء الأخرى.

ومن ذلك مثلًا ما قاله الشاعر محمد أبونهية:

وأبكي على عوجا ربينا بربعها

صغار كبار نشتري ونبيع

واشتهر الملك فهد بن عبدالعزيز -رحمه الله- بقوله:

حنا هل العوجا ولا به مراوات

شرب المصايب عندنا مثل شرب الفناجيل.

القمة الدينية لمجموعة العشرين خطوة في الاتجاه الصحيح

عبدالله عامر الشهري
عضو جمعية الاقتصاد السعودية

المبادرة العالمية المتمثلة في القمة الدينية لمجموعة العشرين (R20) لها أبعاد يجدر التوقف عندها، فهي منصة للحوار والتفاعل بين القيادات الدينية في العالم قبل أيام من انعقاد قمة العشرين (G20)، وقد جاءت هذه القمة بالتعاون بين رابطة العالم الإسلامي وجمعية نهضة العلماء في إندونيسيا، وبرعاية شخصية من فخامة الرئيس الإندونيسي، في خطوة موفقة لاستغلال الزخم الكبير المرافق لقمة العشرين المنعقدة هذا العام في جزيرة بالي في إندونيسيا. ولعلنا في هذا المقال نسلط الضوء على أهمية التوقيت وما

تضمنه هذا الحدث العالمي.

في البداية نتناول قمة مجموعة العشرين. فهي قد نشأت في عام 1999م، وتعد المنتدى الرئيسي للتعاون الدولي الاقتصادي، وتضم قادة من مختلف القارات يمثلون أكبر عشرين اقتصاداً في العالم. حظي هذا المنتدى باهتمام متزايد مع الأزمة المالية العالمية التي ضربت العالم في عام 2008م. انعقدت المجموعة أول الأمر على نطاق وزراء المالية لعشرة أعضاء، ومن ثم ارتفع عدد الدول المشاركة، كما ارتفع مستوى التمثيل إلى زعماء الدول لمناقشة أبرز القضايا الاقتصادية الدولية، وإيجاد حلول للأزمات الاقتصادية مع دعم الاقتصاديات الناشئة.

وللمجموعة عدة أهداف لعل أبرزها:

1. إصلاح المؤسسات المالية وتحسين النظام المالي وتعزيزه.

2. التركيز على دعم النمو العالمي وتوفير وتطوير فرص العمل.

3. تعزيز الاقتصاد العالمي عبر الحوار البناء بين الاقتصاديات الكبرى والاقتصاديات النامية.

وبطبيعة الحال تتخلل المنتدى لقاءات جانبية ونقاشات وجلسات بين وزراء المالية وبعض الشخصيات الاقتصادية المؤثرة. تتناول القضايا المعاصرة وتحظى باهتمام إعلامي كبير.

واشتملت مناقشات القمة الدينية هذا العام على قضايا مثل اللاجئين والأقليات الدينية، ومن هنا كانت الخطوة الذكية في إسناد مسؤولية القمة الدينية لمنظمتين لهما حضور عالمي وخبرة في مجال الحوار الحضاري، هما رابطة العالم الإسلامي وجمعية نهضة العلماء.

ولا شك أن الأزمات والصراعات الدولية أفرزت أوضاعًا

معقـــدة مثل نزوح أعداد من اللاجئـــين هربًا من مناطق الصـــراع وطلبًا للأمان، حيث تقدر المفوضية الســـامية لشـــؤون اللاجئين أن عدد اللاجئين مـــن مناطق الصراع حول العالم وصـــل إلى 89 مليون لاجئ، بزيادة تصل إلى 8 %، وهو رقم كبير يضغط بقوة على الدول المستقبلة لهـــذه الأعداد وتقديم الخدمات لها، خصوصا إذا علمنا أن بعض أكثر الدول اســـتقبالا للاجئـــين تعاني من أوضاع اقتصاديـــة صعبة ومعقدة، بســـبب ضعـــف الاقتصاد وزيـــادة البطالة وصعوبة إيجاد فـــرص عمل. وتأتي أعداد اللاجئين لزيادة الأوضاع ســـوءًا، حيـــث يصعب مع هذه الظروف تقديم المساعدات لهم فضلا عن إعادة تأهيلهم حتى يكون بالإمكان دمجهم في تلك المجتمعات.

وهذه من القضايا التي تحتاج إلى إســـهام الفاعلين من قادة الأديان ليقدموا طرحًا مناسبًا في ضوء الاختلافات الثقافية واللغوية التي تزيد من تعقيد المشكلة. كذلك اختـــلاف الهوية الدينية، حيـــث يتعرض بعض اللاجئين إلـــى العنف والتمييز العنصـــري والديني من المجتمعات الحاضنـــة، وعدم الترحيب بهم بســـبب التحريض الذي يغذيه بعـــض المتطرفين، وتصويرهـــم بأنهم جماعات إرهابية تأتي للعنـــف وتغيير هويتهم الثقافية، وكذلك اســـتغلالهم في ســـوق الأيدي العاملة، حيث يحرص العديـــد من أربـــاب العمل علـــى الاســـتعانة بالأيدي العاملـــة قليلة التكلفـــة، وهي متوفرة فـــي اللاجئين وبأسعار منخفضة جداً، مما يخلق بطالة بين أفراد المجتمع الحاضن ويؤدي إلى محاولة إقصائهم بســـبب استعانة أربـــاب العمل بهـــم وتفضيلهم على الأيـــدي العاملة المحلية. تلك قضايا تطرح نفســـها بقوة، ولا بد من إيجاد الحلـــول لها حتى تجاوز هـــذه المحنة وعـــودة اللاجئين إلى أوطانهم سالمين. ولا ســـبيل لانتهاء معاناتهم إلا بحل جذور المشكلة وهي إنهاء الصراعات داخل تلك الأوطان، وإعادة البناء والتنمية بداخلهـــا، وللقيادات الدينية في ذلك الدور الأعظم.

ولعل من أكثر القضايا إلحاحاً في الوقت الحاضر تفشـــي العنف ضد الأقليات الدينية ومحاولة التضييق عليهم وطمس هويتهـــم الدينية، تارة بالتمييـــز الديني وعدم إعطائهم الحق في ممارسة شعائرهم الدينية، أو بالتقييد عليهـــم في الزي، وقـــد تصل في بعـــض المجتمعات إلى حرمانهم من مواصلة التعليم عبـــر التضييق عليهم، علمـــا بأنهـــم مواطنون لهـــم جميع حقـــوق المواطنة ولكنهم يتعرضون لأشـــكال من التمييز بسبب الدين. ومع الأســـف يغذي هذه النزعات المتطرفة وصول بعض الأحزاب المتطرفة الطامحة إلى الســـلطة، حيث تقوم بتشجيع المتطرفين على مهاجمة الأقليات وبث الدعايات المغرضـــة ضدها. وقد رأينا العديد مـــن الاعتداءات التي طالت أبناء الجالية المســـلمة على أيدي المتطرفين، سواء في أعمالهم أو في مساجدهم؛ تلك المساجد التي كانت أثناء جائحة كورونـــا مقرات لتوزيع المســـاعدات وتقديم الخدمات للمحتاجين، في أكبر شهادة على سلمية هذه الأقليات وعلى دورها الإيجابي.

وتميـــزت القمة بحوارات جـــادة للتوصل إلـــى توافق بين المشـــاركين وتقديم رؤى ومبادئ للقمة الاقتصادية. وكان لإطـــلاق مبادرة مد الجســـور بين الأديان صـــداه، في ظل عالم تتجاذبه نظريات الصراع الحضاري، وتكتنفه نداءات الحروب والنزاعات. ولا يمكن تفادي كل ذلك إلا بفتح نوافذ الحوار بين الجميع، وصولا إلى عالم يسوده السلام والوئام.

كانـــت مبادرة الرابطة في بناء الجســـور وإتاحة الحوار بين النخب الدينيـــة للتصدي لأفكار الصدام الحضاري وعدم الأخذ بها نتيجة مسلمة، وأن الاختلافات بين البشر هي سنة كونية أوجدها الخالق، وأنها لا تفضي بالضرورة إلى الصدام. وتأتي هذه المبادرة الرائدة من الرابطة لتسليط الضوء على هـــذه الأفكار وبحثها علـــى أيدي المختصين والوصول بها إلـــى نتائج تخدم هذه الأمـــة، وتكون في منفعة الإنســـانية جميعـــا. ولعل ما يؤكـــد على نجاح منهـــج الرابطة في مد جســـور التفاهـــم بين مختلف الحضارات حصول الأمين العام الشـــيخ الدكتور محمد العيسى على جائزة باني الجسور النرويجية لعام 2021، وكذلك جائزة غاليليو الإيطالية لتعزيز الســـلام والوئام الديني والحضاري.

إشكالية الدفن الأبدي لموتى المسلمين في بلدان إقامتهم

بقلم: د. التجاني بولعوالي
أكاديمي مغربي ـ جامعة لوفان في بلجيكا

تعالج هذه المقالة إشكالية الدفن الأبدي في السياقين الهولندي والبلجيكي التي طفت على السطح جراء أزمة كورونا. فخلقت الكثير من النقاش بين أوساط المسلمين في أوروبا حول حكم الدفن في بلدان الإقامة، حيث يلف الغموض القانوني إمكانية الدفن الأبدي. ولا يمكن استيعاب هذه الإشكالية إلا باعتماد مقاربة شمولية تأخذ بعين الاعتبار مختلف الجوانب المفهومية والسوسيولوجية والتاريخية والقانونية،

وقد توزّعت هذه المقالة إلى ثلاثة مباحث، خصصنا المبحث الأول لمفهوم الدفن الأبدي في مستوييه المعجمي والاصطلاحي، أما المبحث الثاني فقد تناولنا فيه الجذور التاريخية لمسألة الدفن في المجالين الهولندي والبلجيكي، بينما اشتغلنا في المبحث الثالث بالقوانين المنظمة للقبور والمدافن في كل من هولندا وبلجيكا قصد الوقوف على الإمكانيات التي توفرها للشريحة المسلمة. وفي الأخير خلصنا إلى جملة من السيناريوهات المتعلقة بمستقبل الدفن الأبدي للمسلمين في السياقين الهولندي والبلجيكي.

مفهوم الدفن الأبدي

يُقصد بالدفن الأبدي بقاء الجثمان مدفوناً في القبر لمدة غير محددة، أي للأبد، ويطلق عليه أيضًا في الاصطلاح الهولندي السكينة الأبدية rustgraf، ويحيل هذا الموضوع على أنواع القبور الموجودة في أوروبا عامة وفي هولندا وبلجيكا خاصة. هناك القبور العامة التي يدفن فيها الجميع دون تمييز بين معتقدات الأموات، ويمكن أن يدفن فيها ناس غرباء بجانب بعضهم بعضاً، ولا يستطيع الإنسان أن يختار هناك مكانا خاصا به. في مقابل ذلك، توجد القبور الخاصة، حيث يكتري الإنسان قبره، ولا يمكن شراؤه بشكل دائم، فالقبر يمكن أن يظل قائما إذا كان هناك مسؤول يحافظ عليه ويصونه، وهو ما يطلق عليه في القانون المنظم للأموات rechthebbende، صاحب الحق الذي يمثل الميت. وهناك نوع ثالث من القبور، وهو القبور الأبدية، ويتعلق الأمر هنا بمجموعة من القبور التي تشرف عليها مؤسسة Grafzorg Nederland، التي تعتبر المؤسسة الوحيدة في هولندا التي تملك قبورا أبدية.

ويتم التمييز في هولندا بين صنفين من المقابر، أحدهما مقابر البلدية، حيث تقضي المادة ٣٣ من قانون الدفن بأن تملك كل بلدية أو مجموعة من البلديات على الأقل مقبرة واحدة. والصنف الثاني هو المقابر الخاصة كما تنص المادة ٣٧ من قانون الدفن، وهي مقابر تؤسسها المجموعات الدينية والشركات والمؤسسات والجمعيات، كالمقابر الكاثوليكية والبروتستانتية والإسلامية واليهودية والطبيعية وغيرها.

أما في بلجيكا، فالوضعية جد مختلفة، حيث يوجد حسب الفصل الثاني من المادة الرابعة من قانون المقابر نوع واحد فقط، وهو المقابر العامة التي تؤسسها وتشرف عليها البلديات، التي يمكن لها تخصيص مربعات أو أجزاء في المقبرة العامة لكل مجموعة دينية أو غير دينية وفق طقوسها وقوانينها الداخلية.

الحيثيات التاريخية لمسألة الدفن

إن هولندا توفر إمكانية تأسيس مقابر عامة وأخرى خاصة، ولا يمكن استيعاب هذه الوضعية الراهنة إلا بالعودة إلى جذورها التاريخية، إذ إنه أصبح إلزاميا على البلديات فتح مقابر عامة منذ عام ١٨٢٧. تقتضي المادة ١٣ من قانون المقابر الأول الذي ظهر عام ١٨٦٩ بأن تقوم كل بلدية بتأسيس مقبرة عامة مفتوحة لجميع شرائح المجتمع، بغض النظر عن خلفياتهم الدينية والاعتقادية، وقد ظهر هذا القانون نتيجة لدستور ١٨٤٨ الذي يقضي بفصل الكنيسة عن الدولة. ورغم أن وضع الكنيسة البروتستانتية بكونها كنيسة الدولة انتهى بموجب هذا القانون إلا أن نفوذها ظل قائماً أمام الحركة العلمانية الشديدة التي سعت إلى إلغاء إنشاء المقابر الدينية. ومع ذلك، فإن تأثير الجماعات الدينية ساهم في الحفاظ على حق تأسيس المقابر الدينية أو تخصيص حيز ضمن المقابر العامة للمجموعات الدينية أو للذين لا يستطيعون تحمل تكاليف مقابر خاصة، كما تنص على ذلك المادتان ١٤ و١٩ من قانون المقابر.

ويعتبر هذا القانون ذا أهمية بالغة للمجموعات الدينية في هولندا، فإذا كانت هذه الحقوق تنطبق تاريخيا على المجموعات الكاثوليكية والبروتستانتية واليهودية، فإن المسلمين يتذرعون اليوم بهذا القانون للاستفادة من

الحقوق التي يضمنها للجميع دون أي تمييز أو استثناء.

وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أنه تم تأسيس أول حيز للمسلمين عام ١٩٣٢ في مقبرة عامة (Kerkhoflaan) في مدينة لاهاي بهولندا، وقد خصص في تلك المرحلة لمسلمي إندونيسيا الذين كانوا مستعمرين وتابعين للمملكة الهولندية، وكان منهم من يزور أو يدرس في هولندا، كما استقرت آنذاك مئات الأسر من إندونيسيا الهولندية في العاصمة لاهاي ونواحيها. ومنذ عام ١٩٣٢ صدرت موافقة ملكية على تأسيس أول منظمة إسلامية في هولندا، وهي Perkoempoelan Islam، التي كان هدفها تشييد مسجد ومقبرة خاصة بالمسلمين. وقد تُوج ذلك بتوفير قطعة أرض من المقبرة العامة Kerkhoflaan من قبل بلدية لاهاي لتأسيس مقبرة إسلامية عليها ابتداءً من ديسمبر ١٩٣٢، حيث دفن أول شخص يوم ١٠ مارس ١٩٣٣.

ولعل الوضعية التاريخية لتأسيس المقابر في بلجيكا تختلف في أكثر من جانب عن الحالة الهولندية، إذ يرجع أهم تطور في مسألة المقابر في بلجيكا إلى القرن التاسع عشر، وبالتحديد إلى مرسوم نابليون الإمبراطوري الذي صدر في ١٢ يونيو ١٨٠٤، وقضى بأنه إلى جانب المقابر الكاثوليكية يحق للبلديات قانونياً تأسيس المقابر والإشراف عليها. ومع ذلك، ظلت الكنيسة الكاثوليكية تحتفظ بتأثيرها في تكريس المقابر الكاثوليكية، وقد ظهرت أول المقابر البلدية أثناء تلك المرحلة في مدن بروكسل، وخانت، وأونفيرس. وتسمح المادة ١٥ من المرسوم النابليوني بإنشاء مقابر في البلديات التي تعيش فيها مجموعات دينية مختلفة، إذ كانت الشرائح البروتستانتية واليهودية أكثر المتضررين في ذلك العهد، كما أنه طُرح خيار آخر، وهو تقسيم المقبرة إلى أجزاء يخصص كل جزء لمجموعة دينية.

ثم إنه بموجب ذلك القانون أصبح الإشراف على المقابر مزدوجاً بين الكنيسة والبلدية، غير أن ذلك خلق لاحقاً مشاكل تتعلق بالدرجة الأولى بكيفية تنظيم الأجزاء الخاصة بكل مجموعة دينية، لا سيما أن المرسوم النابليوني لم يأخذ بعين الاعتبار الفئة التي لا تنتمي إلى الكنيسة، ولا يسمح لها بالدفن في المقبرة الكاثوليكية لأنها لا تستحق ذلك، كما يشدد العرف الكنسي. وهكذا صار يدفن كل من لا ينتمي إلى الكنيسة الكاثوليكية في مكان بعيد عن موقع الكنيسة، يوجد على حافة المقبرة، ويطلق عليه في الاستعمال الشعبي الفلامانكي hondegat، أي حفرة الكلب!

وأمام تصاعد النفوذ السياسي الليبرالي منذ منتصف القرن التاسع عشر أخذت مسألة الأجزاء الخاصة بكل فئة دينية في المقبرة بشكل جدي. وبمجرد ما ترسخت الحركة الليبرالية في بلجيكا أرغمت البلديات على عدم المشاركة في تحديد من يستحق أو لا يستحق الدفن في المقبرة، وعدم التدخل في تحديد من يدفن في حفرة الكلب على أساس الانتماء الديني. ولتجاوز هذه الإشكالية دعت الحركة الليبرالية إلى علمنة المقابر، وتحويلها إلى أماكن لدفن أي مواطن بغض النظر عن خلفيته الدينية، وهكذا تم الحد من تأثير الكنيسة في تكريس الطابع الكاثوليكي للمقبرة كلها.

وأصبحت علمنة المقابر على حساب المقابر المقدسة في المدن الكبرى حقيقة ثابتة منذ عام ١٨٦٠، غير أن الكنيسة ظلت متمسكة بحقها الدستوري في إنشاء مقابر خاصة للكاثوليك لا تنتهك بدفن الذين لا ينتمون إليها، لأنهم لا يستحقون ذلك. وبلغت هذه الإشكالية ذروتها عام ١٨٧٣ فيما يُعرف بحرب المقابر Kerkhovenoorlog، بسبب تأسيس مقبرة عامة في مدينة خانت وهي مقبرة Geuzenkerkhof، والتي ترتبت عليها مقاومة حادة من قبل الشريحة الكاثوليكية، التي قاطعت هذه المقبرة لتدفن موتاها في المقبرة الكاثوليكية ببلدية ماريا كرك التي تقع على مشارف مدينة خانت. لكن بوصول الليبراليين إلى

السلطة منذ عام ١٨٧٨ حسموا الأمر لصالحهم عن طريق اعتماد مقابر عامة مفتوحة للجميع في مختلف المدن.

وبعد مرور أكثر من قرن من الزمن على احتدام الصراع بين الكاثوليكيين والليبراليين على طبيعة تدبير المقابر، بدأت تطفو هذه الإشكالية من جديد على السطح بعدما أصبح المسلمون يطالبون بمكان خاص بهم في المقابر العمومية.

القوانين المنظمة لمسألة الدفن

يُقدر عدد المقابر في هولندا اليوم بحوالي ٤٤٠٠ مقبرة، وتقر المادة ٢٨ من القانون المنظم للدفن أنه لا يمكن إثبات الحق الحصري في القبر إلا كتابيا، ويجوز منح هذا الحق إلى أجل غير مسمى أو لفترة ثابتة لا تقل عن عشر سنوات. ثم إنه يتم تمديد هذا الحق الممنوح لفترة محددة، شريطة أن يتم طلب ذلك في غضون عامين قبل مرور العشرية الأولى من الدفن، على أن يقرر صاحب المقبرة فترة التمديد التي لا تقل عن خمس سنوات ولا تتجاوز عشرين سنة، وتجدر الإشارة إلى أن الحق الحصري للقبر لا يعتبر ملكية مسجلة.

وفي حالة الإهمال الواضح لصيانة القبر، يمكن لصاحب المقبرة أن يسجل هذا الإهمال في بيان مكتوب يرسله إلى صاحب الحق، وإذا لم يستجب المسؤول عن القبر لهذا الطلب يحق لصاحب القبر تعليق بيان بذلك في مدخل المقبرة وعلى القبر، وبمجرد انقضاء مدة ١٠ سنوات من الدفن يسقط الحق في القبر.

وهذا يعني أن القانون الهولندي لا يمنح إمكانية شراء القبر وتملكه إلى الأبد، لكن هناك بعض الحلول المطروحة في هولندا التي تسمح باقتناء قبر أبدي، كما هو الشأن بالنسبة إلى مؤسسة Grafzorg Nederland التي تمتلك بضعة آلاف من القبور الأبدية داخل هولندا وخارجها. ويذهب الخبير W.G.H.M. van der Putten

الذي يشرف على هذه المؤسسة إلى أن هناك مشكلتين تعترضان تملك القبر إلى الأبد، إحداهما أنه يجب أن يحضر صاحب الحق الذي يكون مسؤولاً عن القبر، وإذا مات هذا الشخص يجب تعويضه بمسؤول آخر في مدة تتراوح ما بين ٦ و١٢ شهرا، وإذا لم يتم ذلك سقط الحق في القبر. لذلك، لن يتسنى الحفاظ على هذا الحق إلا بواسطة المؤسسة التي لا تموت، وهكذا يُتجنب سقوط الحق في القبر. والمشكلة الثانية أنه ينبغي الحفاظ باستمرار على نظافة القبر، إذ كانت هناك في الماضي الكثير من القبور المهملة، فجاء قانون ١٩٩١ الذي يقر بأنه يمكن للبلدية التخلص من كل قبر لا يخضع لشروط الصيانة، ولا يمكن ضمان استمرارية هذا الأمر إلا عبر الدفع المسبق من طرف الميت (في حياته) للمؤسسة التي تقوم بعمل الصيانة والنظافة. ويغطي الدفع المدة التي يرغب فيها المشترك، بدءا من عشرين أو ثلاثين سنة إلى مائة أو حتى ٣٠٠ سنة، وبهذه الطريقة يمكن للإنسان الحفاظ على الحق في القبر.

علاوة على ذلك، فإن القانون الهولندي يتضمن إمكانية شراء مقابر إسلامية خاصة وتملكها إلى الأبد، وقد استثمر المسلمون في هولندا هذا المعطى القانوني، فقاموا باقتناء مقابر إسلامية في الماضي كما هو الحال لمقبرة أليرا التي تم تأسيسها عام ٢٠٠٧ من طرف مؤسسة Ar Raza، وتعتبر تاريخيا أول مقبرة إسلامية مستقلة على المستوى الهولندي، ثم المقبرة الإسلامية في Nieuwe Ooster بأمستردام التي تم شراؤها عام ٢٠١٢. كما أن أزمة كورونا أجبرت الشريحة المسلمة في هولندا على تأسيس مقبرة إسلامية جديدة تضمن السكينة الأبدية، وهي مقبرة Zuidlaren في نواحي مدينة خرونينغن، التي تم فتحها من قبل مؤسسة BIBIN في أبريل ٢٠٢٠، وتعتبر الأكبر على صعيد أوروبا الغربية.

في مقابل ذلك، يناهز العدد الإجمالي للمقابر في بلجيكا ٢٢٠٠ مقبرة، ويمنح القانون البلجيكي الحق في الدفن لفترة معينة من الزمن، على أن يتقدم المعني بالأمر بطلب امتياز لدى البلدية التي تحدد مدة ٥٠ سنة كحد أقصى لتملك القبر قابلة للتجديد، كما تنص المادة السابعة من الفصل الثاني من قانون المقابر.

ويغطي هذا الامتياز أعضاء فئة دينية معينة أو أكثر، كما يمكن لأي شخص ينتمي إلى البلدية الحق في طلب الامتياز. وإذا لم يتم تقديم طلب الحصول على هذا الامتياز في الآجال المحددة، يمكن إزالة القبر بعد السنوات العشر الأولى من الدفن، حسب ما تشير إليه المادة الثامنة من الفصل الثاني. بالإضافة إلى ذلك، فقد ورد في المادة الأخيرة من قانون المقابر أنه يجب على المعني بالأمر طلب امتياز من البلدية نفسها، التي سوف يتم الدفن فيها، وبمجرد ما يتم دفع المبلغ الذي تشترطه البلدية يُمنح الامتياز القابل للتجديد قبل سنة واحدة على الأقل من انتهاء مدة الدفن المقررة، ويقوم رئيس البلدية أو ممثله المفوض بإعداد وثيقة تذكر بأنه يجب تقديم طلب التمديد قبل التاريخ المحدد، يرسل هذا الطلب إلى صاحب الامتياز أو إلى ورثته أو إلى الجهة المسؤولة عن القبر، ويتم تعليق إعلان لمدة عام عند مدخل المقبرة وعلى القبر، ولا يتم رفض التمديد إلا إذا ثبت إهمال صيانة القبر أثناء تقديم طلب التمديد. وإذا لم يُتقدم بطلب تمديد الفترة، يبقى القبر مدة خمس سنوات إضافية، وتصبح البلدية بعد ذلك صاحبة القبر.

وهذا يدل على أن القانون البلجيكي لا يوفر إمكانية اقتناء مقابر خاصة من ناحية، ولا يضمن الدفن الأبدي، الذي يرغب فيه المتدينون من المسيحيين واليهود والمسلمين، إلا عبر سلسلة من الإجراءات القانونية المعقدة؛ لذلك فإن اليهود البلجيكيين الأرثدوكسيين يفضلون أن يدفنوا في هولندا، لوجود مقابر على الحدود الهولندية البلجيكية، حيث دفن الكثير من اليهود، وبالتحديد في مدن برخن أوب زوم، وأيسدن، وبوت.

سيناريوهات للمستقبل

كتب الصحفي الهولندي أرنوت لو كليرك في جريدة الشعب Volkskrant يوم ٢٧ يناير ٢٠٢٠ عن إشكالية الدفن الأبدي في هولندا، حيث إن الحق في بقاء القبر يستغرق في الغالب عشر أو ثلاثين سنة. لهذا السبب يفضل حوالي ٨٠٪ من المسلمين الدفن في البلدان الأصلية التي ينحدرون منها، غير أن هذه الوضعية بدأت تتغير في الآونة الأخيرة، حيث بدأت تنشأ لدى المزيد من المسلمين اليوم الرغبة في الدفن في هولندا، لكن في مقبرة تضمن السكينة الأبدية.

بناءً على قراءتنا للحيثيات التاريخية والقانونية لمسألة الدفن والمقابر في كل من هولندا وبلجيكا، يظهر أن القانون الهولندي يوفر إمكانية تأسيس وامتلاك مقابر إسلامية تضمن الدفن الأبدي، وقد ساهمت أزمة كورونا في نشوء وعي في أوساط المسلمين بأهمية شراء مقابر خاصة بمقتضى القانون. على العكس من ذلك، فإن القانون البلجيكي لا يتضمن هذه الإمكانية، بل ولا يسمح ببقاء القبر إلا عبر سلسلة من الإجراءات المعقدة، مما يشكل تحديا كبيرا لكل مسلم يريد أن يدفن في بلجيكا أو أنه مضطر لأن يدفن فيها، كما هو الحال بالنسبة للشريحة المغربية في ظل تعليق نقل الجثامين إلى المغرب بسبب تداعيات وباء كورونا، بل وسوف يطرح هذا الأمر إشكالية كبيرة في المستقبل أمام الأجيال الصاعدة التي ولدت في بلجيكا، ويُتوقع أن تتقلص صلتها بالوطن الأصل، بالإضافة إلى المسلمين الجدد الذين ينحدرون من أصل بلجيكي. وهذا يعني أنه إذا كان التحدي في هولندا مادياً بالدرجة الأولى، ويرتبط بمسألة تمويل المقابر واقتنائها، فإن التحدي في بلجيكا قانوني في المقام الأول، ما دام أن القانون لا يسمح هناك بتأسيس مقابر إسلامية خاصة.

لذلك، نعتقد أن هناك أربعة سيناريوهات للمستقبل المتوسط فيما يتعلق بإشكالية الدفن لدى مسلمي بلجيكا، وهي كالآتي:

السيناريو الأول: وهو أن يُنقل النقاش إلى الدوائر السياسية الفيدرالية العليا، ويطالب المسلمون بتغيير القانون المتعلق بتأسيس مقابر إسلامية خاصة والدفن الأبدي، ويمكن أن يشارك في هذه المعركة السياسية القانونية المسلمون إلى جانب غيرهم من المجموعات الدينية كالكاثوليكيين والبروتستانتيين واليهود، وهذا مطمح ليس بالهين، لأنه يتعارض مع القيم الليبرالية المتجذرة في شق كبير من المجتمع البلجيكي، التي ساهمت تاريخيا في اجتثاث الهيمنة الدينية الكاثوليكية على مجال الدفن، ومن ثم علمنة المقابر.

السيناريو الثاني: وهو أن يركز المسلمون على المستوى الجهوي أو الإقليمي، حيث تتمتع المقاطعات والبلديات بصلاحيات كبيرة تسمح لها بتكييف بعض القوانين حسب الظروف والحاجات التي تتعلق بسياقها، ويمكن للمسلمين وغيرهم من الجماعات الدينية فتح حوار فكري واجتماعي على هذا الصعيد، ولا سيما في ظل التعددية الفاعلة التي تأخذ بعين الاعتبار التنوع الديني والفلسفي والثقافي.

السيناريو الثالث: وهو أن ينقل المسلمون أمواتهم في المستقبل للدفن في هولندا، تماما كما يفعل بعض اليهود البلجيكيين، ولعل هذا منوط بطبيعة القوانين المعمول بها داخل السياق الهولندي، وبمدى استعداد الطرف الهولندي لاستقبال أموات المسلمين في بلجيكا.

السيناريو الرابع: وهو أن تبقى مسألة نقل الأموات والدفن في الوطن الأصل على حالها، وتعتبر أزمة كورونا حدثا ظرفيا ومؤقتا، لكن يجب أن نأخذ هنا بعين الاعتبار ذلك التحول السوسيولوجي، الذي بدأ يفضي إلى نشوء توجه جديد لدى الأجيال الصاعدة والمسلمين الجدد يميل إلى الدفن في البلدان الأوروبية التي أصبحت تشكل أوطانهم الأصلية.

الحوار الحضاري في مبادرات رابطة العالم الإسلامي

بقلم : د . أحمد عبد القيوم عبد رب النبي
الباحث في إدارة الدراسات بالرابطة

مؤتمر الصداقة والتقريب بين شعوب العالم بمدينة (ريميني) الإيطالية

تعتبر الساحات الفكرية ميدانا فسيحا، تُثار فيه الرؤى والأنظار التي تَعمل على تحرير القضايا والتصورات، وتقديم الحلول للمشكلات، وتجيب عن أسئلة الحياة المعاصرة؛ فتُصيب أحيانا، مقدّمةً بذلك خدمات جليلة للإنسانية على المستوى الحضاري والثقافي، وتخطئ أحيانا أخرى، ليترتَّبَ على بعض تلك الأخطاء قائمةٌ من الكوارث والمآسي، تتجرّع منها الإنسانية الويلات أجيالا متعاقبة، ومنها: تلك الأطروحة التي

طفَت على السـاحات الفكرية والأوساط العلمية في أواخر الألفية السابقة: أطروحة صدام الحضارات التي تبنّاها ونشـرها (صمويل هنتنغتـون)، وكانت موضوع دراسـةٍ من قبل أكاديميين ومفكرين ومراكز بحثية عالمية.

وقد تعـدّدَت الأنظـار واختلفَت المواقـف تُجاه هذه النظرية وإشـكالاتها الجدَلية، فمنهـم مَن تقبّلها وسعى إلى نشـرها في المجتمع، ومنهم من انتقدَها ونقضَهـا، وبيّن الأصل الجامع بـين مختلف المكونات الإنسـانية، انطلاقا من القواسـم المشتركة بينها، رافعا بذلك شـعار التفاهـم الإيجابـي والتعايش السـلمي، داعيا إلى تعزيز لغة الحـوار والتواصل مع الآخر، ضمن دائرة المشـتركات الدينية والإنسـانية والحضارية.

ولـم تكن المنظّمـات الدولية بمنأى عـن هذا الحراك الفكري، ومنها رابطة العالم الإسـلامي التي بيّنَت -من خـلال انفتاحها على العالَـم كله- خطأ هذه النظرية وبطلانها، وأكدَت بجلاء وصدق أن الإنسانية تَجمعها مشـتركاتٌ عديـدة، تَكفل لهـا التعايش الأمثل نحو مستقبل أفضل.

ذلك أن رابطة العالم الإسـلامي منظّمة إسلامية شعبية عالمية، تَملك سِجلا حافلا بالمنجَزات الإنسانية والحضاريـة، ولها تاريخ مُشـرق فـي إيضاح حقيقة الإسلام ومبادئه السمحة، وبيانها نقيّةً من مفاهيم التشـدد والتطرف والإرهاب، وهـي تَعمل من خلال فعالياتها المتنوعة ومبادراتها الدولية على ترسـيخ لغة الحوار الديني والحضاري، ومدّ جسور التعاون على الحق والخير والفضيلة والإحسـان، ليس مع المسلمين فحسب، ولكن مع الإنسانية كافة.

وتسعى الرابطة في الوقت نفسه إلى تعزيز الصورة الذهنية الإيجابية عن الإسـلام والمسلمين، وكشْف الشـبهات المثـارة عليـه، وتعميق الوعـي الديني الصحيح لدى المسلمين، مع الانفتاح الإيجابي المتوازن على كافة الثقافات والحضارات، سـعيًا للوصول إلى عالَم آمِن تَنحسـر عنه الكراهية والعنف والعدوان، ويسوده السِّلم والعدل والأمان.

ولإلقاء الضوء على جهود الرابطة في إدارة برنامج (الحوار الحضاري) نستعرض بإيجاز جملة من مبادرات الرابطة فـي ذلـك، وبيانها في المعالم الخمسـة التالية:

المَعلَم الأول: احتضان وتبنّي ملفّ الحوار الحضاري

سـلكَت الرابطة في سبيل تحقيق هذا الإنجاز طرائق متنوعة، من أهمها: الحوار الحضاري الذي حملَت لواءه منذ تأسيسـها، حوارًا حضاريا إسلاميا داخل الصف الإسلامي بكل اتجاهاته، وحواراً حضاريا إنسانيا عالميا مع الصف الإنسـاني بمختلف أطيافه، معتمدة في ذلك على أُفقها الإسـلامي المعتـدل، ومفاهيمها الإنسـانية المعززة لوئام الجميع وسلامه، والمستمدة من تكريم الخالق سـبحانه وتعالى لبني آدم أجمعين، كما في قوله تعالى: "ولقد كرّمنا بني آدم".

إن الرابطة -منذ إنشـائها- قد أخذَت على عاتقها مسـؤولية الدفـاع عـن الإسـلام، وتقـديم العون للمسـلمين وغيرهم من المحتاجين في شتى البقاع، انطلاقا مـن رؤيتها المتجددة، المعتمـدة على عالمية الإسـلام وحضارته المشرقة، فوسّـعَت مناشطها ومبادراتها حـول العالم أجمَـع، تخاطب الحكومات والمؤسَّسات، وتقيم الشـراكات، وتحاور أتباع الديانات والثقافات، وتَبْني جسـور الثقة على أعمدة راسخة من المشتركات الإنسانية، داعية إلى الله على بصيرة وهـدى، حاملة شـعاراً ينطلـق من الآيـة الكريمة: "وجعلناكم شـعوبا وقبائل لتعارفوا"، وقوله تعالى: "وقولوا للناس حُسنا"، ويسـتند إلى الحديث النبوي الشـريف: "إنما بُعثت لأتمّم صالح الأخلاق"، وحديث: "خير الناس أنفعهم للناس".

كما تستحضر الرابطة في جميع مناشطها ومبادراتها وعلاقاتها حول العالم: صورة الإسلام الأُولى في تعايشه وتحاوره مع جميع أتباع الملل والنحل، مراعيا في ذلك فقه الأولويات والموازنات، والنظر في المآلات، والترتيب بين المصالح والمفاسد، بما يحقق رسالة الإسلام في نشْر معاني الرحمة والتسامح والأخوة.

فدَعَت من خلال فعالياتها الدولية، وبرامجها الثقافية، ومناشطها الفكرية، ومبادراتها العالمية، ومنشوراتها العلمية، ومنابرها الإعلامية، وأعمالها الإنسانية، إلى التحلّي بمكارم الأخلاق، ومحاسن الأفعال، والتمثّل بالقيم الحضارية في شتى المجالات الشرعية والإنسانية، وحضّت على مدّ جسور التعارف الإنساني والتعاون الإيجابي في كافة القضايا المشتركة على قاعدة المعروف والبرّ والإحسان، وترسيخ أسس الأمن والسلام؛ لينال الجميع حظه من العيش الكريم، تحقيقا لرسالة الإسلام التي جاءت بالخير والرحمة للعالمين: ﴿وما أرسلناكَ إلا رحمةً للعالمين﴾.

وفي هذا السياق جاءت تصريحات معالي الأمين العام للرابطة الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى من خلال جولاته الدولية، ولقاءاته بالقيادات والمسؤولين حول العالم، مُبرزًا فيها دور الرابطة في حمْل رسالة (الحوار الحضاري)، ففي زيارته لفرنسا ولقائه بسفراء الدول الإسلامية في (باريس)، قال معاليه: ﴿إن رابطة العالم الإسلامي من خلال رسالتها للشعوب، تهدف إلى إيجاد المحبة والتسامح والوئام، والتحاور مع الجميع في المشتركات التي تَجمعنا، وهي السلام والتعايش، والتي هي مراد الخالق سبحانه وتعالى﴾.

كما تحدّث معاليه في (مؤتمر الصداقة والتقريب بين شعوب العالم) بمدينة (ريميني) الإيطالية عن جهود الرابطة على المستوى العالمي، و﴿أنها كيانٌ مهمٌّ ومؤثّرٌ في توثيق العلاقات بين شعوب العالم على اختلاف أطيافهم وأفكارهم وثقافاتهم وحضاراتهم وعقائدهم، وأنها تسعى لإحلال الحوار بديلاً عن الصراع، والتفاهم المبنيّ على الاحترام المتبادل عوضا عن سياسات الهيمنة والتسلّط والاستعلاء، وأنها تحضّ على بناء جسور السلام والوئام الإنساني في القضايا كافة﴾.

إن المقصد الأسمى من حمْل الرابطة لرسالة (الحوار الحضاري): هو الحفاظ على الكرامة الآدمية، وإنصاف الإنسانية، ورفْع الظلم عنها، وتحريرها من أغلال الكراهية والحقد والتعصب، وإبعادها عن غوائل التهميش والإقصاء والتطرف، وإيجاد أفضل السُبُل وأيسرها للتفاهم السويّ مع الآخر المختلف معنا دينًا أو ثقافة أو مذهبًا.

المَعلَم الثاني: التطبيق العمَلي للحوار الحضاري

لم تكتف الرابطة بتأطير الجانب النظري لمفهوم (الحوار الحضاري)، بل سعَت بجدّية وفاعلية إلى تنزيله وتطبيقه على أرض الواقع؛ وذلك من خلال عدد من المناشط والمبادرات، يأتي في مقدّمتها: بناء الشراكات، وتوقيع اتفاقيات التفاهم والتعاون المشترك ذات الصلة بالحوار الحضاري، ومن تلكم الاتفاقيات البارزة:

- اتفاقية مع جمهورية تتارستان حول التعاون في مجال الحوار.

- اتفاقية مع صندوق دعْم الثقافة والعلوم والتعليم في روسيا الاتحادية لتجنب التطرف ونشْر التسامح والمحبة للوطن.

- اتفاقية مشروع هُويّة الأرض في اليابان مع (هيروكو كاواهارا)، لدعم العمل الثقافي الداعي للوئام والسلام وتعليم القيم الحضارية للأطفال.

- مشروع اتفاقية التعاون مع اليونسكو، لتنفيذ

د. العيسى والكاردينال توران أثناء توقيع الاتفاقية بين الرابطة والفاتيكان

مبادرات لمصلحة الشعوب، وخاصة فيما يتعلق بالتواصل الثقافي والحضاري.

- اتفاقية التعاون التاريخية مع الفاتيكان، ممثّلا في رئيس المجلس البابوي للحوار (الكاردينال لويس توران)، والمتضمنة إنشاء لجنة عمل دائمة بين الرابطة والفاتيكان.

- اتفاقية باريس للعائلة الإبراهيمية، بمشاركة مؤسسة "إسلام فرنسا" الرسمية، وذلك أثناء مؤتمر (باريس الدولي للتضامن والسلام) والذي حظي بحضور فرنسي متنوع، وإشادات برلمانية واسعة.

إن رابطة العالم الإسلامي مدَّت يد الحوار والتواصل مع الآخر، ولم تستثن أحدا، وهي تركّز الآن في أداء رسالتها الحضارية والإنسانية بصورة أشمل وأوسع، إيمانا منها بأن للحوار والتواصل أثرا أقوى وأبقى من عشرات الوسائل الصدامية الهوجاء، وأنه الطريق الأسْلم والأحْكَم لبناء حياةٍ إنسانيةٍ كريمةٍ هانئة، قوامها: التعارف والتعاون، ومرتكزها: الاحترام والنفع للجميع.

ولذا؛ حرصَت في لقاءاتها مع القادة الدينيين والسياسيين حول العالَم على إرساء لغة الحوار والتواصل، وتعزيز ثقافة التفاهم والتآلف؛ لخَلق جوّ من التسامح والمحبة، باذلةً جهودها ومساعيها الحثيثة في تجاوز معوّقات التعايش والسلام، وبثّ روح العمل المشترك، والتقليل من عوامل النزاع والشقاق، والتصدّي لدعوات الكراهية والإقصاء، والتغلّب على المشكلات الحضارية المعاصرة، وتفعيل دائرة المشتركات الإنسانية التي يؤمِن بها الجميع، فكسبَت بذلك ثقة شعوب العالم، واحترام قيادات الدول، الأمر الذي أعطاها مكانة مرموقة في المحافل الدولية والمنصّات العالمية، وأصبح نشاطها وحضورها محلّ تقدير الأمم والشعوب، وصار الجميع يتطلّع إلى برامجها ومبادراتها في إدارة ملفّ (الحوار الحضاري) حول العالم.

المَعلَم الثالث: صدور (وثيقة مكة المكرمة) التاريخية

لقد أعطى الخطاب الحضاري الذي تَحمِله الرابطة في رؤيتها المتجددة ثماره الفعلية، وبرزَت نتائجه الإيجابية، حيث ظهرَت العديد من البرامج والمبادرات والتوصيات والوثائق التي تبنّتها في مناشطها المتنوعة، وكان من أهمّها وأقواها تأثيرًا وحراكًا على الساحة الفكرية: صدور (وثيقة مكة المكرمة) التاريخية ذات الصدى العالمي الواسع، والبُعد الحضاري المتميز، حاملةً قيم الإسلام الرفيعة، ورسالة سلامه ووئامه ومحبته للجميع، لتُبرهن الرابطة للعالم بأهليّتها التامة ونجاحها الباهر في إدارة ملف (الحوار الحضاري) بحِنكة عالية وكفاءة متميزة.

وكان من أبرز ما جاء في بنود هذه الوثيقة العالمية فيما يخص (الحوار الحضاري) أن المسلمين: "جزء من هذا العالم بتفاعله الحضاري، يسعون للتواصل مع مكوناته كافة لتحقيق صالح البشرية، وتعزيز قيمها النبيلة، وبناء جسور المحبّة والوئام الإنساني، والتصدي لممارسات الظلم والصدام الحضاري وسلبيات الكراهية"، وأن "التنوع الديني والثقافي في المجتمعات الإنسانية لا يبرّر الصراع والصدام، بل يستدعي إقامة شراكة حضارية إيجابية"، وأن "الحوار الحضاري أفضل السُّبل إلى التفاهم السوي مع الآخر، والتعرّف على المشتركات معه".

المَعلَم الرابع: حضور البُعد العالَمي في تعزيز الحوار

لئن كانت بعض المشاريع الحضارية تقتصر جهودها في داخل البلدان الإسلامية، وعلى ما هو إسلامي، فإنّ بعضها تختار طريقا واسعا، تأسّيا بعالمية الرسالة الإسلامية الخاتمة التي جاءت للناس كافة، ليس لعِرق دون عِرق، ولا لأمّة دون أمّة، ولا لحضارة دون غيرها.

وإن المتتبّع لمنهج الرابطة في الحوار الحضاري يقف عند حقيقة مفادها: أنها تستحضر البُعد العالمي للحوار الحضاري؛ وذلك من خلال عشرات المؤتمرات والندوات والملتقيات الدولية التي تُشرف على تنظيمها داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، فضلا عن الزيارات الشخصية واللقاءات الرسمية لمعالي أمينها العام ووفده المرافق، والتي شملت العديد من دول العالم.

وكان من جملة هذه المؤتمرات الناجحة التي لاقت ترحيبا دوليا واسعا، مؤتمر (التواصل الحضاري) بالولايات المتحدة الأمريكية الذي قال فيه معاليه: "تَهدف الرابطة بعقد المؤتمرات إلى التذكير بحضارة الإسلام، وتجربتها التاريخية الرائدة في الانفتاح على الحضارات الأخرى، والتي تؤكد مفاهيم التبادل الثقافي والمعرفي الرائدة والماثلة، وترسيخ حقيقة الأخوّة الإنسانية في نظر الإسلام القائمة على البر والعدل والإحسان ورقيّ التعامل وحُسن التبادل".

كما أكد معاليه أثناء لقائه مع رئيس (مؤتمر الكنائس الأوروبية)، عن حِرص الرابطة على تنظيم المؤتمرات والندوات واللقاءات لخَلق نوع من التواصل الحضاري بين أتباع الديانات والثقافات حول العالم.

وجاء تأكيد معاليه في المحاضرة التي ألقاها في (جامعة سانت بطرسبرغ بروسيا)، على أهمية التواصل الحضاري بين الأمم والشعوب لتعزيز التقارب والتفاهم والتبادل، منوّهاً بأن ذلك سيُسهم في إزالة الحواجز السلبية والمفاهيم الخاطئة التي تجد بيئتها المناسبة في عدم الحوار أو عدم جدّيته أو عدم الأخذ بأسباب نجاحه.

المَعلَم الخامس: استشراف المستقبل في مبادرات الرابطة

يَهدف مشروع الحوار الحضاري لدى الرابطة إلى استشراف آفاق مستقبلية لهُوية إنسانية

مشـــتركة، تتعايش فيها الثقافات المتباينة والأديان المختلفة والأعراق المتعددة في تكامل وتفاعل وتعاون، هُوية تسَـــع الأســـرة الآدمية في مجموعها، وينتفع بها الجميع، من أجل حاضرٍ أسلَم، ومستقبلٍ أفضل، لا مجال فيه لإقصاء الآخر وإلغائـــه غلَبة وقهرا، ولا فسحة فيه للصراع الحضاري المدمّر نظرية وتطبيقا.

إن خطاب الرابطة ومشروعها الحضاري الكبير يؤكد الحاجة الملحّـــة والضـــرورة القصوى إلى اســـتلهام العناصـــر الجامعـــة بـــين الثقافـــات والأديـــان والأمم والشـــعوب، ومراعـــاة القيم الحضارية والمشـــتركات الإنسانية الكبرى بين الآدميين جميعا، من أجل أخوّة إنســـانية تكون أكثر تواصلا وتعايشًا وأرقى تسامحا ووئاما، وحضارة إنسانية واحدة في أصلها وتركيبها، قوامها: احترام الآخر، والسماح بالتعددية والاختلاف، مع حِفظ الحقوق والخصوصيات، والمساواة بين الناس جميعا في التكاليف والمســـتحقات؛ بحيث لا تزدري ثقافةٌ ثقافةً، ولا تُلغي حضارةٌ حضارةً، ولا تتســـلط فئـــةٌ على فئةٍ، ولا يبغي عِرق على عرق، في عالَمٍ يرى الحرية ذروة القيم الإنسانية.

ومن ثَمّ، جـــاءت مبادرات الرابطة في (الحوار الحضاري) بنظرة شـــاملة للماضي ورؤية مســـتنيرة للحاضر، تَطمح إلـــى تقديم إســـهامات نوعية فـــي صناعة مســـتقبل التواصـــل الحضاري والتراحم الإنســـاني، والتحرك نحو أفقٍ أوســـع من التعـــارف، وعالَمٍ أرحَب من التفاهم، يســـوده الأمن والاســـتقرار، بعيدا عن الاضطراب والكراهية والاقتتال الذي يفقد الإنسانية شَرفها وفضلها، وينقص من خيرها ونفْعها.

إن التعـــارف الإنســـاني عبـــر الحـــوار والتواصل بين الشـــعوب والثقافات، ســـيمكّن الجميع من الالتقاء بالأنموذج الإنســـاني الأمثل للوحدة الآدمية الجامعة والحياة المجتمعية الآمنة التي تسودها القيم العالية والأخلاق الرفيعة والعدالة الإنسانية.

ولهذا أرســـل الله أنبيـــاءه ورســـله -عليهم الصلاة والســـلام- وبعثهم لإقامـــة قيَم الفطـــرة ومكارم الأخـــلاق ومحاســـن المُثـــل والمبادئ، وتحقيـــق الألفة والجماعة، والتراحم والتحـــاب، وترْك الفرقة والمخالفة، والتنـــازع والاقتتـــال، وحمَل رســـالتَهم مِن بعدهم ورثتُهم من العلماء وأصحاب الهمم العالية؛ لإيقاظ الإنســـانية حين غَفْلتها، وتذكيرها حين نســـيانها، وإحياء الفطرة الســـوية والقيم النبيلة فيها، لبناء إنســـانيةٍ تنتظم في عقدٍ ميثاقي تواصلي تعارفي تراحمي، متعاونٍ في الخير ومتعايشٍ في سلام.

وهذا ما ألمح إليه معالي الأمين العام للرابطة الشيخ محمد بن عبد الكريم العيســـى أثناء زيارته لجمهورية غانا، حيـــث قال في مؤتمره الدولي: "عالَم اليوم أحوج ما يكون إلى تفعيل منطقة المشـــتركات الإنسانية التي يكفي بعضها لإحلال الســـلام والوئام المنشود حول العالم".

إن معالي الشيخ محمد العيسى حين يقارب مسألة المستقبل في مبادرات رابطة العالم الإسلامي فإنه يَستشـــرف فضاءً أرحَب ونظرا أبعَد بكثير مما يَكتفي به الغير، فهو يَنظر إلى مســـتقبلٍ مستدام شاملٍ وعام، دون تقيّـــد بمعيار الجغرافيـــا أو معيار القومية واللغة أو معيار الثقافة أو التقدم المادي أو غيرها من المعايير، وإنما يتحدّث باسم الأسرة الإنسانية الواحدة وأخوّتهـــا ووئامها ضمن القيم والمصالح المشـــتركة التي لا حصر لهـــا، متخذا من احتـــرام خصوصيات الآخر والاعتراف به، بديلا عن نفيه وإقصائه والصراع معه، اســـتنادا إلى القبول بحتميـــة وجود الاختلاف كسنّة كونية ثابتة، متجنّبا بذلك ما يَطرحه البعض من الاقتصـــار على بعض المفاهيم التي تســـتبطن نزعةً إلغائية لجزءٍ مهم من الآخر الإنساني الذي يُمْكن الالتقاء معه على أرضية وقيم مشتركة: متطابقة أو متقاربة أو متســـامحة، وبهذا يقدّم معاليه طرْحا عالميا يحتاجه العالَم المعاصر، متجاوزا كل التوقعات، وعابرا فوق كل القيـــود والحواجز العرقيـــة واللغوية والثقافية.

جهود رائدة في مكافحة الإرهاب الإلكتروني

مركز الحرب الفكرية مثالاً

د. محمد خليفة صديق - السودان

ظهر مصطلح الإرهاب الإلكتروني (Cyber Terrorism) أو (Electronic Terrorism)، عقب القفزة الكبيرة التي حققتها تكنولوجيا الاتصال والمعلومات، وانتشار استخدام الحواسيب الآلية سيما الإنترنت في إدارة معظم شؤون وأنشطة الحياة اليومية. ويعد الإرهاب الإلكتروني أحد أخطر أنواع الجرائم التي ترتكب عبر شبكة الإنترنت، لما تجلبه عمليات الإرهاب الإلكتروني من خسائر مادية ومعرفية ومعنوية. فالإرهاب الإلكتروني يستخدم كل ما هو متاح له من التقنيات الإلكترونية لتحقيق أهدافه المختلفة مثل تجنيد الأفراد للالتحاق والتطوع مع الجماعات والعناصر الإرهابية وخدمتها، أو نشر

وبث الدعاية الإلكترونية والأفكار المتطرفة لتلك الجماعات، أو التعرض للأنظمة والحكام، أو تحريض الأشخاص على القيام بعمليات مسلحة أو تفجيرات ضد الدول أو ضد مجموعات بعينها، وغير ذلك من الأهداف المدمرة.

ولا تقف خطورة الإرهاب الإلكتروني عند ما ذكرناه، لأن الخطورة الأمنية والمجتمعية تأخذ بعدًا أخطر إذا أدركنا أن الجماعات المتطرفة كانت من أوائل الجماعات الفكرية التي دخلت العالم الإلكتروني حتى قبل ظهور شبكة الإنترنت بسنوات. هذه الخطورة البالغة للإرهاب الإلكتروني جعلت الأصوات تعلو للمطالبة بمكافحة كافة أشكال الإجرام عبر الإنترنت، وكانت ضربة البداية في العمل الجماعي الدولي ضد الإرهاب الإلكتروني توقيع ثلاثين دولة في 8 نوفمبر 2001م في العاصمة المجرية بودابست على الاتفاقية الدولية لمكافحة الجريمة الإلكترونية.

أشارت كثير من الدراسات التي بحثت في ظاهرة الإرهاب بعد أحداث سبتمبر 2001 إلى أن النشاط الإرهابي انتقل من ساحات القتال إلى الفضاء الإلكتروني. وإذا كان الإرهابي سلاحه بالأمس بندقية وقنبلة فإنه اليوم أصبح يتسلح بحاسوب محمول وآلة تصوير. وعلى سبيل المثال تقوم استراتيجية داعش الإعلامية على استغلال الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي والهواتف الذكية للوصول إلى المستهدفين والتنسيق بين الإرهابيين في شتى المستويات.

يسلط هذا المقال الضوء على جهود المملكة العربية السعودية في مجال مكافحة الإرهاب الإلكتروني بالتركيز على مهام وأهداف مركز الحرب الفكرية.

الإرهاب الإلكتروني: مدخل تعريفي

يندرج مفهوم الإرهاب الإلكتروني من مفهوم الإرهاب بشكل عام، ولكنه مثل مفهوم الإرهاب أيضاً لا يوجد تعريف شامل جامع مانع له؛ وذلك نظراً لحداثة ظهوره والتعامل معه؛ وهو نوع من الإرهاب يستخدم الأساليب التقنية الحديثة، والتي تتضمن الإمكانيات التقنية، وتعتمد بالأساس على الشبكات الرقمية، وذلك بقصد ترويع الأفراد بتهديدهم أو إلحاق الضرر الفعلي بهم.

بدأ أول ظهور لمفهوم الإرهاب الإلكتروني في الثمانينيات من القرن الماضي، على يد باري كولين Barry Collin الذي تبنى في ذلك الوقت تعريفاً للإرهاب الإلكتروني؛ يقول إنه "هجمة إلكترونية غرضها تهديد الحكومات أو العدوان عليها، سعيًا لتحقيق أهداف سياسية أو دينية أو أيديولوجية، وإن الهجمة يجب أن تكون ذات أثر مدمر وتخريبي مكافئ للأفعال المادية للإرهاب".

ومن تعريفات الإرهاب الإلكتروني أنه الجريمة ذات الطابع المادي، التي تتمثل في كل سلوك غير قانوني من خلال استخدام الأجهزة الإلكترونية، ينتج عنه حصول المجرم على فوائد مادية أو معنوية مع تحميل الضحية خسارة مقابلة، وغالباً ما يكون هدف هذه الجرائم هو القرصنة من أجل سرقة أو إتلاف المعلومات الموجودة في الأجهزة، ومن ثم ابتزاز الأشخاص باستخدام تلك المعلومات.

نستطيع أن نُعرّف الإرهاب الإلكتروني بأنه "العدوان أو التخويف أو التهديد المادي أو المعنوي الصادر من الدول أو الجماعات أو الأفراد على الإنسان في دينه أو نفسه أو عرضه أو عقله أو ماله بغير حق، باستخدام الموارد المعلوماتية والوسائل الإلكترونية بشتى صنوف العدوان وصور الإفساد".

نستنتج من هذه التعريفات أن مفهوم الإرهاب الإلكتروني شائك ومعقد لتعقد متعلقاته وارتباطاته؛ فهو مختص بالتقنيات الحديثة التي تتجدد يوماً بعد يوم، بل ساعة بعد ساعة، وهي في تطور وقفزات يومية، ولذا من الصعب الإمساك

بأطراف الموضوع لصياغة تعريف موحد متفق عليه له.

جهود المملكة العربية السعودية في التصدي للإرهاب الإلكتروني

المملكة العربية السعودية جزء من العالم، تتأثر بما يتأثر به الآخرون من مشكلات أفرزها النشاط الإرهابي على الأرض وعلى الفضاء الرقمي، و'في ظل افتقار النظام الدولي إلى الحزم في الرد على المخالفات والانتهاكات التي تتعرض لها مواثيقه بعقوبات دولية شاملة ورادعة' (العجلان،2008، ص11)، كان لزاماً على المملكة أن تسعى حثيثاً للجم هذا النشاط الهدام وقطع جذوره، وقاية لمجتمعها والمجتمع العالمي من أخطار الإرهاب الإلكتروني وغيره، باعتبارها تقع في منطقة مهمة وحساسة في قلب العالم.

المملكة لها قصب السبق في التصدي للإرهاب بكافة أشكاله، انطلاقاً من التزامها الكامل بثوابتها، وقيمها، وأحكام الشريعة الإسلامية؛ وهي تضطلع بجهود جبارة في مكافحة الإرهاب الإلكتروني على وجه الخصوص. وقد أصدرت مجموعة من الأنظمة والقرارات لمواجهة الإرهاب الإلكتروني والهجمات السيبرانية، كما عقدت المئات بل الآلاف من الفعاليات التوعوية والدورات التدريبية المتخصصة حول موضوع مكافحة الإرهاب والإرهاب الإلكتروني وجرائم الحاسب الآلي بمشاركة مختصين سعوديين ودوليين. وموقف المملكة من ظاهرة الإرهاب لا يتجاوز الموقف الإسلامي الرصين المبني على الكتاب والسنة، ومن ذلك ما يلي:

1 – إقرار عقوبة الإرهاب وتنفيذها: تم اعتماد العقوبة المغلّظة للإرهاب حسب فتوى هيئة كبار العلماء في فتوى الحرابة رقم 148 لعام 1409هـ الصادرة بالطائف التي أكدوا فيها بأن الشريعة الإسلامية ترى الإرهاب عدواناً وبغياً وفساداً في الأرض لأنه حرب على الله ورسوله وخلقه.

2 – نشر الوسطية والاعتدال: وذلك بتأصيل منهج الوسطية ومعالجة الغلو والتطرف والتعصب الديني، مع تنمية الوازع الديني لدى كل أفراد المجتمع، مع ما تقوم به كافة مؤسسات المجتمع الحكومية والأهلية واستخدام كافة الوسائل الممكنة لنشر ثقافة الاعتدال من خلال وسائل الإعلام بالأساليب المناسبة لتصل الرسالة الإعلامية الهادفة لكل شرائح المجتمع.

3 – المشاركات الدولية: تشارك الدولة في المؤتمرات والندوات العالمية والدولية التي تنظمها المنظمات والهيئات العالمية والإقليمية والمؤسسات المعنية بمكافحة الإرهاب، وعقد الاتفاقيات مع الدول المختلفة.

4 – توضيح الصورة للخارج: نشرت المملكة الصورة الحقيقية الواضحة لمكافحتها الإرهاب من خلال سفاراتها ومراكزها في مختلف أنحاء العالم، وذلك بنشر الإسلام بشكله وجوهره الصحيح، والدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، وإبراز الصورة الحقيقية له دين اعتدال وتسامح وتآخ بعيداً عن العنف والقسوة والإرهاب وكل ما يدعو إلى ذلك.

5 – الأجهزة الأمنية: تتميز المملكة العربية السعودية باعتمادها على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة شريعة وحكماً في جميع شؤون الحياة، ومن هذا المنطلق فإن التعاملات المرتبطة بتقنية المعلومات، كغيرها من مجالات الحياة، تخضع للأحكام الشرعية المستمدة من الكتاب والسنة، وفي ضوء تلك الأحكام تقوم الجهات المعنية بوضع اللوائح المحددة لحقوق والتزامات الأطراف المختلفة، كما تقوم الهيئات الأمنية والقضائية والحقوقية بتنزيل تلك الأحكام واللوائح على القضايا المختلفة.

هذه الجهود وغيرها تواصلت ولم تتوقف، وفي كل يوم تتحفنا المملكة بالجديد في مجال مكافحة الإرهاب الإلكتروني عن طريق تشجيع المبادرات المتميزة القادرة على كشف أحابيل الإرهاب الإلكتروني

وطرقه، ومن ذلك مركز الحرب الفكرية التابع لوزارة الدفاع السعودية، وهو ما نعرف به في الصفحات التالية.

مركز الحرب الفكرية: مدخل تعريفي

يعرِّف مركز الحرب الفكرية نفسه بأنه مركز عالمي، يتبع لوزارة الدفاع بالمملكة العربية السعودية، ويختص بمواجهة جذور التطرف والإرهاب، وترسيخ مفاهيم الدين الحق، ويعدّ أحد أهم الإفرازات الفكرية لولي العهد الأمير محمد بن سلمان، وهو على رأس قيادة المركز رئيساً لمجلس أمناء المركز، ويعمل بالمركز خبراء متخصصون من داخل المملكة وخارجها بحكم عالمية أهداف المركز، وهو متنوع المحتوى والخطاب ليشمل كافة الفئات المشمولة برسائله.

جرى تدشين مركز الحرب الفكرية في مايو 2018 لتكون مؤسسة تابعة لوزارة الدفاع تختص بـ "مواجهة جذور التطرف والإرهاب، وترسيخ مفاهيم الدين الحق"، ولتقود معركة وزارة الدفاع السعودية على الإرهاب الإلكتروني، وليقوم بدور فاعل في مكافحة أفكار التطرف والغلو، وكشف شبهات ورؤى الجماعات والتنظيمات الإرهابية وأهدافها، ولينتزع وبقوة القناع عن الوجه الكالح لهذه التنظيمات الهدامة وطرقها وأساليبها في تجنيد الأفراد واستقطاب النشء والشباب لصالح أطروحاتها السقيمة.

اشتدت الحاجة لقيام مركز الحرب الفكرية ليعمل على تصحيح المسار الخاطئ الذي مضى فيه العالم لقرابة عقدين من مكافحة الإرهاب؛ إذ اعتبر الجميع أن المواجهات الأمنية والملاحقات الاستخباراتية للإرهابيين، كفيلة باجتثاثهم من الجذور، وهو ما ثبت عدم صحته؛ ولذا ظهرت الحاجة الماسة إلى مركز الحرب الفكرية "بصفته فعلاً من أفعال الاجتهاد والتجديد العقلي، فعل يقظة وحضور، وفعل حيوية وفاعلية، وفعل مبادرة ومسؤولية، يتفق مع طبيعة الإسلام العقلانية، التي تتصف بالعمومية والقابلية للتطبيق في كل زمان ومكان. وتبقى أهداف المركز ضرباً من ضروب الاجتهاد الذي يمثل وسيلة تأكيد تلك العمومية، وتفعيل تلك القابلية دائماً وأبداً؛ بما يقضي باستمراره وتجدده، في كل وقت وحين".

للمركز إسهامات حاضرة وسابقة عبر العديد من المشاركات العالمية ذات الصلة بمهامه، حيث قدم مجموعة من المبادرات الفكرية وتواصل مع مراكز

الفكر والتأثير حول العالم، وشرع إلكترونياً في بث رسائله المركّزة لمحاربة الفكر المتطرف، الذي يعتمده الإرهاب لتضليل مستهدفيه، حيث استطاع استقطاب عدد من المغرر بهم من أكثر من مائة دولة، بمن فيهم أشخاص ولدوا ونشؤوا وتعلموا في دول غير إسلامية، متأثرين برسائل التطرف الإرهابي، التي يتواصل بها إلكترونياً في ظل فراغ من الدخول في تفاصيل عدد منها، وخاصة ما كان متركزاً على إثارة العاطفة الدينية، أو الفراغ في مستوى كفاءة المادة، وهو ما جعلها أقل تأثيراً.

المشروع العالمي الذي يفرد فيه "مركز الحرب الفكرية" أجنحته لمواجهة التطرف، يقوم على ركائز فلسفية وسياسية وذهنية رائقة وراقية؛ ذلك أنه إن كان الإرهاب سلوكاً عملياً قائماً على أفكار محورية خاطئة ودفعت معتنقها إلى التطرف، ثم تحولت إلى عقيدة ثابتة لن تتزحزح من العقل الموبوء بها إلا بموته، فإن المكافحة هنا لا يمكن أن تقوم أبداً عبر طلقات الرصاص للقضاء على الإرهابيين، بل عبر كشف الأخطاء والمزاعم والشبهات وأساليب الخداع التي يروج لها التطرف والإرهاب.

عند قراءة رسائل المركز وأهدافه، نجد اهتمامًا متزايدًا وسعيًا للارتقاء بمستوى الوعي الصحيح للإسلام في الداخل الإسلامي وخارجه؛ فإعادة الوعي بأصول الإسلام وثوابته في الداخل، لا بد أن يقابلها عمل فكري كبير في الخارج، فالصورة الذهنية الإيجابية عن حقيقة الإسلام عالمياً قد تلقت صدمات خطيرة على مدار التاريخ، بعضها قديم مثل كثير من كتابات المستشرقين والكتاب الغربيين الذين حفروا خندقاً واسعاً مليئاً بالكراهية والتعصب والتزمت تجاه العالم الإسلامي، قابلته ردود أفعال كارثية لدى قطاعات من الشباب المسلم، الذي قد مضى في طريق عنف مقابل. ومن هنا يفلح مركز الحرب الفكرية في تصديه للإرهاب فكرياً، لأنه بذلك يضع تلك الحرب من الجانب الآخر موضع القتال الفكري، الرأي بالرأي، والحجة بالحجة، ومقارعة البرهان بالبرهان، أما الطعنات الحديثة فقد تمثلت في العمليات الإرهابية الخطيرة التي روّعت الآمنين في الكثير من العواصم الغربية، وخلفت تصوراً عمومياً مغلوطاً قطعاً، مفاده أن هؤلاء هم المسلمون عن بكرة أبيهم، وهذه هي خلاصة أفعالهم، وإن كان لمركز الحرب الفكرية أن يصنع صنيعاً عظيماً، فإنه لا بد من التواصل الفاعل مع العالم الغربي إعلامياً ومجتمعياً لبيان من يشوّه صورة الأمر بتأويلاته الفاسدة وجرائمه البشعة.

مركز الحرب الفكرية في رؤاه الاستراتيجية يراهن على تكوين فهم عميق ومؤصل لمشكلة التطرف، من خلال أساليب وكوامن نزعاته، ومن يُنعِم الملاحظة في أفكار القائمين عليه يتبين رحابة فهمهم، وسعة أفقهم؛ فالمركز يفتح أبوابه للتعاون البناء مع كثير من المؤسسات والمراكز الفكرية والإعلامية، وهو في هذا يقدم مثالاً واضحاً على فكرة اللقاء مع الآخر الذي يمتلك رأياً وطرحاً مختلفَين، دون أن يفكر في عزله أو إقصائه، بل الاستفادة من تعدد الرؤى في طريق المجابهة الفاعلة للإرهاب الإلكتروني بمختلف صوره ومظاهره.

مركز الحرب الفكرية: المهام والأهداف

يهدف مركز الحرب الفكرية إلى كشف الأخطاء والمزاعم والشبهات وأساليب الخداع التي يروج لها التطرف والإرهاب، وإيضاح المنهج الشرعي الصحيح في قضايا التطرف والإرهاب، وتقديم المبادرات الفكرية، كما يسعى إلى الارتقاء بمستوى الوعي الصحيح بالإسلام في الداخل الإسلامي وخارجه، وتحقيق المزيد من التأييد للصورة الذهنية الإيجابية عن حقيقة الإسلام عالمياً، وتحصين الشباب "حول العالم" من الفكر المتطرف عبر برامج متنوعة (وقائية وعلاجية)، وتفكيك الوسائل التي يسعى الإرهاب من خلالها لاستقطاب عناصره، وتقرير منهج الوسطية والاعتدال في الإسلام، وتقرير المفاهيم الصحيحة

في قضايا عمل التطرف على تشويهها بتأويلاته الفاسدة وجرائمه البشعة.

وضمن أهداف المركز أيضاً عرض قيم ومبادئ الدين الحق بخطاب يراعي تفاوت المفاهيم والثقافات والحضارات منسجماً مع سياقه العصري، والإفادة من الدراسات والبحوث من خلال إنشاء منصات علمية وفكرية وملتقيات عالمية وكراسي بحثية وأدوات استطلاع وتحليل، بالإضافة إلى الانتشار عن طريق وسائل الإعلام والاتصال مع عقد الشراكات العالمية ومنها المراكز والمؤسسات المنوه عنها، وتنظيم المؤتمرات والندوات وحلقات النقاش ولا سيما مع مراكز التأثير والاستشراف بغية تحقيق إيجابية التوسع والانتشار، وإطلاق الحملات العامة لتوجيه الرأي العام إلى إشراك المجتمعات لتعزيز هيمنة الرؤية المعتدلة.

وضع "مركز الحرب الفكرية" على عاتقه مهمة رفع درجة الوعي في المجتمعات، وحماية الأجيال من خطر التطرف، بتقديم محتوى هادف عالي الجودة يسهم بشكل فاعل في تعزيز وترسيخ الأفكار الإيجابية وقيم الدين الإسلامي السمحة والتصدي للتطرف والإرهاب واجتثاث جذوره الفكرية. (الدوبحي، 2017)

كما يعمل المركز على تقديم مبادرات فكرية للتحالف الإسلامي العسكري لمحاربة الإرهاب، كما يجتهد في مهمة تحصين الشباب حول العالم من التطرف ببرامج وقائية وعلاجية، ويسعى لتكوين فهم عميق ومؤصّل لمشكلة التطرف من خلال أسباب وكوامن النزعات المتطرفة، وفهم الأدوات والمنهجيات، التي تستخدمها الجماعات المتطرفة، وتحديد الفئات المستهدفة من تلك الجماعات، والتعاون الفعّال مع المؤسسات المحلية والعالمية، إضافة إلى تطوير وبناء وتنفيذ خطط فاعلة لمكافحة التطرف.

أسس هذا المركز المتخصص من أجل ملاحقة الإرهاب فكرياً، ومواجهة جذور التطرف والإرهاب وترسيخ مفاهيم الدين الحق، وملاحقة التطرف في عالمه الافتراضي الذي يُشكّل أهم أدوات انتشاره، كما يُواجه المواد التي تبثها الآلة الإعلامية للتطرف بالطرح العلمي والفكري المؤصَّل على الفهم الصحيح لنصوص الكتاب والسنة.

دور مركز الحرب الفكرية في مكافحة الإرهاب الإلكتروني

استطاع مركز الحرب الفكرية وفي وقت وجيز من تدشينه أن يكون له إسهامات عديدة عبر المشاركات العالمية ذات الصلة بمهامه، حيث قدم مجموعة من المبادرات الفكرية النيرة، وتواصل مع مراكز الفكر والتأثير حول العالم، وشرع إلكترونياً في بث رسائله المركّزة والمباشرة لمحاربة الفكر المتطرف الذي يعتمده الإرهاب، حيث استطاع استقطاب عدد من المغرر بهم من أكثر من مائة دولة، بمن فيهم أشخاص ولدوا ونشؤوا وترعرعوا وتعلموا في دول غير إسلامية، وكانوا متأثرين للغاية برسائل التطرف الإرهابي التي يتواصل بها معهم إلكترونياً.

وقد نشط المركز من خلال منصات التواصل الاجتماعي في مخاطبة المتحدثين بالعربية والإنجليزية والفرنسية، من أجل "رفع مستوى الوعي العام بحقيقة الإسلام وتعزيز المناعة الفكرية للفئات المستهدفة من قبل الجماعات المتطرفة والإرهابية، وتفويت الفرصة على التطرف والإرهاب وقائياً وعلاجياً ودعم الصورة الذهنية الإيجابية عن دين الإسلام وإيضاح قيمه الرفيعة".

في دراسة حديثة لمركز القرار للدراسات الإعلامية دراسة حديثة تناول من خلالها مركز الحرب الفكرية بهدف اكتشاف طبيعة معالجته لقضايا التطرف والإرهاب، إضافة إلى رصد وتحليل المحتوى المنشور على حساب المركز ونتائجه، والتعرف على وسائله الاتصالية والكيفية التي اتبعها في إيصال رسائله، واعتمدت الدراسة على تغريدات المركز خلال عامين

كاملين، حيث كانت فترة الدراسة ما بين 1 أبريل 2019م - 31 مارس 2021م، وعدد تغريدات تلك الفترة نحو 243 تغريدة، فيما يصل عدد متابعي حساب المركز قرابة 1.2 مليون مستخدم.

تنوعت في عينة الدراسة أهداف التغريدات، فوصلت نسبة التغريدات الإخبارية لنحو 70 %، فيما كان نصيب التغريدات التوعوية 24 %، وتغريدات تعديل المفاهيم 6 % فقط، وفيما يتعلق بالقضايا التي تناولتها التغريدات تصدرت القضايا الفكرية تغريدات المركز بنسبة 67 %، والقضايا المجتمعية 12 %، ونشاطات المركز 9 %، والقضايا القومية 4 %، والقيادة السياسية للدولة 4 %، وأخيرًا المناسبات الدينية بنسبة 4 %.

في مجمل هذه التغريدات تناول حساب المركز التطرف وممارساته ومغالطاته على مر التاريخ، كما استعرض الجهود والمبادرات التي قدمتها المملكة العربية السعودية في مواجهة التطرف والإرهاب، وترسيخ الاعتدال الإسلامي، ومنها وثيقة مكة المكرمة التي تُعتبر امتداداً لوثيقة المدينة المنورة التاريخية التي أمضاها النبي صلى الله عليه وسلم، واعتبرها أتباع الأديان والثقافات الأخرى أقدم وثيقة دستورية على امتداد التاريخ الإنساني في ترسيخ قيم التعايش والسماحة وحفظ الحقوق.

بحسب الدراسة فقد اتسم حساب مركز الحرب الفكرية بوجود اتساق بين أهداف رسائله الاتصالية وبين الاستمالات التي اعتمد عليها، حيث استخدمت الغالبية العظمى من تغريداته الاستمالات العقلية بنسبة 93 % مقابل 7 % فقط للاستمالات العاطفية. فلجأ الحساب إلى مخاطبة جمهوره المستهدف بالبراهين والأسانيد المنطقية، ومقارعة الفكر بالفكر والحجة بالحجة، وذلك من أجل تحقيق التأثير المطلوب وإقناعهم برسائله. وقد جاءت الاستمالات العقلية مختلفة ومتنوعة ما بين تفنيد منطقي خاص بالمركز، واعتماد على مصادر رسمية أو المؤسسات المعنية مثل كبار علماء الأمة الإسلامية وهيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، فضلاً عما جاء في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.

أظهرت نتائج التحليل أهمية المواجهة الفكرية -بجانب المواجهة الأمنية- لقضية التطرف، لتحصين وحماية المجتمع من هذه الآفة، حيث هدف حساب مركز الحرب الفكرية على (تويتر) إلى مواجهة جذور التطرف والإرهاب، وعرض القيم والمبادئ الإسلامية الصحيحة، وفي سبيل تحقيق هذا الهدف، أظهرت نتائج الدراسة أن المركز اعتمد على مجموعة من الأدوات، أهمها:

- مواجهة الفكر بالفكر عن طريق استخدام الاستمالات العقلية والحجج المنطقية المستندة إلى القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.
- تناول التطرف من زواياه المختلفة الدينية والاجتماعية والتاريخية.
- تبني الخطاب الهادئ غير الانفعالي خلال تناوله لقضية التطرف.
- الحرص على استخدام لغة احتوائية في أغلب تغريدات الحساب لحماية أفراد المجتمع من الفكر المتطرف.
- ترسيخ وتعزيز القيم الإسلامية السمحة التي يحاول المتطرفون تحريفها وتشويهها خدمة لمصالحهم وأهدافهم الخاصة.
- التركيز على تصحيح المفاهيم المغلوطة التي يروجها أصحاب الفكر المتطرف.
- التوعية بالأساليب التضليلية التي يتبعها أنصار هذا الفكر الهدام من أجل التأثير في المواطنين واستقطاب عناصر جديدة.

فقه الثوابت في إطار الوحدة الإسلامية

بقلم: الدكتور حسن عزوزي
كلية الشريعة بفاس

الثابت والمتغير مصطلحان حديثان سَريا في كلام أهل العلم، فالأول يفيد القطعي ومواضع الإجماع التي أقام الله بها الحجة بينة في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والتي لا مجال للاجتهاد فيها، كما يفيد الديمومة والاستمرار والملازمة والبقاء، قال تعالى: "يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة' (إبراهيم، 27). أما الثاني فيفيد مواطن الاجتهاد والتطوير في الشريعة الإسلامية، لأن الاجتهاد المبني على تحقيق مصالح الأمة ودرء المفاسد عنها مرتبط بالواقع المتغير لكل عصر، كما يفيد المصطلح: التحول والتبديل. وفي القرآن الكريم "ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم' (الانفال، 53).

والثابت في الشـــريعة هو الإطار العام الذي يستقر عليه العمل بالدين، إنه ذلك القدر الذي يمثل دين الإسلام وهويته وحقيقته بحيث لا يُتصور إسلام بدونه ، وهذا القدر يمكن أن نطلق عليه الثابت لأنه يلازم حالة واحدة وصورة واحدة لدى جميع أبناء الأمة في كل مكان وزمان وعلى كل حال.

ولا يختلف اثنان في كون الأحكام في الأقسام المذكورة إنما ترمي إلى تحقيق مصالح الناس ومراعاة منافعهم. وبعض هـــذه المصالح والمنافع يتبدل ويتغير بتغير الزمان أو المكان أو لأي عامل من العوامل التي تؤثر في تغير المصالح.

ولقـــد كان للعلاقة بين الثابت والمتغيـــر موقع خاص في المجـــال الفكري والثقافـــي لأمتنا الإســـلامية، وذلك منذ ثبوت النص الديني بعـــد انقطاع الوحي، حيث كان الأمر منبع إشـــكالات اعترضت ســـبيل الناس مع تطور الزمن وتلاحُق الأنظار والاجتهـــادات، لأن النصوص المراد تنزيلها على الواقع المتغير ثابتة، وهو ما يصطدم مع تغير الزمان ويجعل حركة التطور والنمو تتوقف.

وهنـــا يبقى لفتح مجال الاجتهاد فضله في حل ومعالجة مشـــاكل الأمة المتجددة من خلال تواصل المســـلمين مع مشـــاكل العصر المســـتجدة عبر آلية النظـــر والاجتهاد التي يضطلع بها الفقهاء والمجتهدون من أجل اســـتنباط وتحصيل الحكم فيها في ضوء القواعد الشـــرعية المقررة والضوابـــط الأصوليـــة المعتمـــدة. وبهذا يتبـــين أن باب الاجتهاد المفتوح في مراعاته للعلاقة القائمة بين الثوابت والمتغيرات يســـهم في حفـــظ كيان الأمة الاســـلامية ووحدتهـــا، لأن ثمـــة منطلقات وأساســـات تتفق عليها جميع الجماعات والمذاهب الإســـلامية يمكن الوقوف عند أبرزها في الآتي:

أولا: إن الثوابت بمثابة المبادئ المشـــتركة والمنهاج السليم والشرعية المتفق عليها عند جميع الطوائف الإسلامية وبمنزلة الدين المشترك، ومن لم يعترف بهذه الثوابت فهو خارج عن الإســـلام ، وليس الحديث هنا عن هذه الطائفة، ولكن الحديـــث عمن يلتزم بهذه الثوابت لكنه يختلف مع غيره في الفروع والوسائل ونحوها مما هو مبني على أصول ومدارك كلها في الدائرة التي أباح الله الاجتهاد فيها. وفي كل ذلك خير وسعة وتيسير ورحمة، يقول ابن تيمية رحمه الله : "فالأصـــول الثابتة بالكتاب والســـنة والإجماع هي بمنزلة الدين المشـــترك بين الأنبياء ليس لأحد الخروج عنها ومـــن دخل فيها كان من أهل الإســـلام المحض، وما تنوعوا فيه من الأعمال والأقوال المشروعة فهو بمنزلة ما تنوعت فيه الأنبياء... فالمذاهب والطرائق والسياســـيات للعلماء والمشـــايخ والأمراء إذا قصـــدوا بها وجـــه الله تعالى دون الأهواء ليكونوا متمسكين بالملة والدين الجامع واتبعوا ما أنزل إليهم من ربهم من الكتاب والسنة بحسب الإمكان بعـــد الاجتهاد التام هـــي لهم من بعـــض الوجوه بمنزلة الشـــرع... وهم مثابون" (الفتـــاوى :19/117). وعلى ضوء ذلك تجتمع الأمة الإســـلامية على هذه الثوابت وتجعلها قاعدة لانطلاقتها وصخرة صلبة لتكوين علاقاتها عليها، فهي القاعدة المشتركة المتفق عليها والمعترف بها.

ثانيا: من خلال فقه الثوابـــت والمتغيرات يتم اعتراف كل جماعة وكل طائفة بغيرها ما دامت الثوابت مشـــتركة وما دامـــت المتغيرات مقبولة ومشـــروعة، وبالتالي يكون من الطبيعي أن يعذر بعضهم بعضا لأن الإســـلام يشرع أســـباب التآلف والاجتماع وينهى عن أســـباب التقاطع والفرقة. وهذا من شـــأنه أن يسهم في تعزيز وحدة الأمة وتماسكها.

ثالثا: إن معرفة الثوابت المشتركة بين الجماعات والطوائف الإسلامية من شأنه أن يقرب فيما بينها ويؤدي إلى تحقيق التعارف الإســـلامي، والتعاون والتكامل والقبول المتبادل، والاجتماع على ما يجمع من الثوابت والمواقف وعدم إثارة الاختلافـــات وترك الحزبية والمذهبية الضيقة إلى ســـاحة الإسلام الواسعة والرحبة.

رابعا: إن الوقوف في مساحة مشتركة من الثوابت يتفق عليها الجميع يدفع إلـــى الاتفاق على مواجهة التحديات التـــي تواجه وحدة الأمة الاســـلامية مثل تحـــدي الكفر والإلحاد والعلمانية وتحدي الغزو الثقافي والفكري.

مجالات الثوابت المشتركة في إطار الوحدة الإسلامية

إن الباحث في وحدة الأمة الإسلامية يجد أن الإسلام قد أقام هذه الوحدة على أسس ثابتة ودعائم قوية، وتتفاعل ضمنهـــا متغيرات تجعل واقع الأمة ينمو ويتطور، فالثابت ينتج عنه المتغير، والمتغير يدل على الثابت "ولن تجد لسنة الله تبديلا" (الفتح، 23).

ولكي يكون الحديث عن وحدة الأمة الاسلامية في إطار من الثبات والتغير محدد الأبعاد وواضح المعالم يجدر إبراز أهم مجالات الثوابت التي تنبني عليها وحدة الأمة وتنسج من خلالها قوتها وعزتها.

أولا: وحدة الأصل الإنساني

وهي الوحدة التي طالما أكدها القرآن الكريم وبيَّن حقيقتها بأساليب شتى من خلال آيات متعددة، وذلك لكي يضعها المسلمون دائما في اعتبارهم، وينطلقوا منها لتحقيق الإخاء والاتحاد المطلوبين، قال تعالى: "يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا'(النساء، 1).

فالله سبحانه وتعالى خلق الناس من نفس واحدة أي من أصل واحد وجعلهم صنوفا وأجناسا مفرعة من أصل واحد للاحتراز عن الإخلال بما ينبغي أن يكون بينهم من حقوق الأخوة وعوامل التعارف والاتحاد، قال تعالى: "وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون' (الأنعام، 98). ففي إنشاء الناس جميعهم من نفس واحدة آيات بينات على قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ووحدانيته. وفي التذكير بذلك إشارة إلى ما يجب تحقيقه من الشكر والتعارف، ولذلك كان الانقسام إلى شعوب وقبائل مدعاة للتعارف والتآلف قال تعالى:'يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير' (الحجرات، 13).

ثانيا: وحدة العقيدة:

وهي من أهم الركائز لوحدة المسلمين مهما اختلفت أجناسهم وأقطارهم، ومهما تباينت ألوانهم وجنسياتهم، وهي من الأصول الأساسية التي جاء بها الإسلام. فعقيدة المسلمين واحدة وثابتة لا تختلف باختلاف الأجناس والأقطار، بل هي واحدة عند كل المسلمين تقوم على الإيمان بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم.

وحينما نريد أن نبحث عن مجالات التغير والثبات في البعد العقدي لوحدة الأمة الاسلامية نجد أن الحقيقة التي يكشف عنها الدين في المجال العقدي تحكي عن واقع لا يقبل التغيير، فالكمالات الوجودية الثابتة في حق الله تعالى غير قابلة لأن تنفى عنه في وقت من الأوقات وكذا الأمر في بقية الحقائق الكونية والوجودية.

وبذلك كانت العقيدة الإسلامية إيذانا بمولد مجتمع يخالف المجتمعات التي جعلت أساس وحدتها الجنس أو القبيلة أو الإقليم أو اللغة بخلاف الإسلام الذي جعل أساس وحدة مجتمعه العقيدة التي هي في جوهرها قوة لا تعادلها قوة في ضمان تماسك الأمة واستقرار نظامها والتئام أسباب السعادة والطمأنينة فيها. فالإنسان يمتاز عن سائر الكائنات الحية بأن حركاته وتصرفاته الاختيارية يتولى قيادتها شيء لا يقع عليه سمعه ولا بصره، ولا يوضع في يده ولا عنقه ويجري في دمه، إنما هو معنى اسمه العقيدة. ومن هنا كان الإنسان مَقُودا أبدا بفكرة صحيحة أو فاسدة، فإذا صلُحت عقيدته صلح فيه كل شيء وإن فسدت فسد كل شيء، لذلك كانت عقيدة التوحيد، ولا تزال عنصرا مهما في تحقيق الوحدة الإنسانية سواءً على مستوى التأثير في الكون والمجتمع الإنساني أو على مستوى القدرة على معالجة الكثير من أسباب الاختلاف ومستوياته. وهذه العقيدة تترسخ وتتكامل بالالتزام بأحكام الشريعة.

ومن هذا المنطلق نجد القرآن الكريم قد أكد على هذا المفهوم العقدي في تصوره للوحدة داخل المجتمع الإسلامي ووضع صورتها في هذا الإطار لأنها وحدة حقيقية يمكن أن تحفظ للمسيرة البشرية قدرتها وطاقتها وتكاملها في جميع الأبعاد، وأن تكون هذه الوحدة في الله ومن أجل الله وفي سبيل الله.

ثالثا: وحدة مصادر التشريع

للثبات مظاهر ودلائل شتى نجدها في مصادر الإسلام وشريعته، ويتجلى هذا الثبات في المصادر الأصلية النصية القطعية للتشريع من كتاب وسنة، إذ لا اختلاف في كون مصدر التشريع واحدا عند جميع المسلمين وهو القرآن الكريم وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فالقرآن دستور المسلمين هو الأصل، والسنة هي الشرح النظري والبيان العملي للقرآن، قال تعالى: "يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا فأما الذين ءامنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما' (النساء، 175-174) .

وإذا كانت الحياة الإنسانية لا تستقيم من دون تشريع قانون يحدد للناس وظائفهم ويبين حقوق كل فرد منهم، فإن حياة الأمة الاسلامية تستهدي بقانون القرآن الكريم وسنة محمد صلى الله عليه وسلم حيث توجد الكثير من التشريعات التي تتسم بصفة الثبات والاستقرار والتي لم ترتبط في تشريعها بمصلحة آنية حتى يقال بإمكانية انتفاء ذلك التشريع بانتفاء تلك المصلحة وهذا ما يعبر عن البعد التشريعي الثابت.

وتهدف الأحكام الشرعية في ضوابطها عموما إلى دعم روح الإخاء والتعاون وسد ذريعة المنازعات والتباغض لتأكيد وحدة الأمة من الداخل وذلك من خلال حرص التشريع الإسلامي على المساواة التامة والعدل بين جميع المسلمين دون تمييز اللون أو اللغة أو القومية.

رابعا: وحدة العبادات

للعبادة في الإسلام شأن عظيم ودور كبير في تحقيق الوحدة بين المسلمين، ويبدو هذا جليا فيما ينعكس من آثارها على حنايا النفس عمقا وبعدا.

فالصلاة مثلا قد فرض الله مواقيتها واحدة، وجعل هيئتها واحدة لا تختلف من بلد الى آخر، ولا من جيل الى آخر. وهي خمس مرات في اليوم والليلة على جميع أبناء الأمة ويُعلَن عنها في وقت واحد فيستجيب المؤمنون للنداء ويجتمعون للصلوات الخمس مناجين ربا واحدا ومؤدين أعمالا واحدة ومتجهين الى قبلة واحدة، وكل ذلك يعزز الوحدة بين المسلمين.

وإذا كان الإسلام قد ضاعف أجر الصلاة بضعا وعشرين مرة عندما يقف مع الجماعة في الصلاة فإنما في ذلك إغراء شديد من أجل الانضواء تحت الجماعة والاصطفاف في وحدة متناغمة مع باقي المسلمين، فالإسلام يكره للمسلم أن ينحصر في نطاق نفسه وينأى بمصلحته عن مصلحة الجماعة وحياتها، لذلك دعا الإسلام أبناءه للجماعة ليتعارفوا فلا يتناكروا ويتقاربوا فلا يتباعدوا ويتحابوا فلا يتباغضوا. فالحكمة من الاجتماع للصلاة كل يوم والاجتماع حول خطبة الجمعة أسبوعيا من أجل إدامة التآلف واستمرار التعارف واستشعار معنى الأخوة وتحقيق أواصر المحبة وتعميق الوحدة وتأكيد وحدة الشعور الأخوي بين المسلمين فتزيل من نفوس المؤمنين كل ارتباط غير ارتباط العقيدة الإسلامية والمنهج الإسلامي المحكم.

أما الصيام فيظهر إيحاؤه للوحدة بين المسلمين قويا وظاهرا ،إذ عندما يطل شهر رمضان على المسلمين يوحد بينهم في مشارق الأرض ومغاربها على اختلاف ألسنتهم، فهو يوحد بينهم في شعورهم وسرورهم في استعادة ذكرياتهم المجيدة ويوحد بينهم في استعادة ليلهم ونهارهم وفي وقت طعامهم وشرابهم ويجعل فقراءهم وأغنياءهم ورجالهم ونسائهم في ذلك كله سواء.

أما الزكاة فهي من أبرز روافد وبواعث وحدة الأمة الاسلامية بما تبعث عليه من تحقيق مشاعر المحبة والألفة والعطف والتعاون وتقوية للأمة جميعا. وهذه المعاني تعمل عملها في وحدة المسلمين وتأليف قلوبهم وتجعلهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

أما الحج فهو من أظهر العبادات عملا على وحدة المسلمين، فشعائره ومناسكه كلها توقظ في المسلم مشاعر الأخوة النبيلة بين المسلمين حيث يتجرد المسلمون من الدنيا ومظاهرها وزخرفها ويعودون بأنفسهم إلى وحدة المظهر يُحاكون بها وحدة العقيدة والإيمان، فيعيشون في رحلة الحج حياة الوحدة الإسلامية الجامعة التي تتجسد من خلال الروابط الإيمانية إخلاصا في العبادة وأخوة في الله وتجردا من فوارق الحياة.

وهكذا يلمس المسلمون جميعا من خلال مواظبتهم على أداء العبادات وإقامة شعائر الله ما يؤكد انتماءهم لأمة واحدة، فيشعرهم بالأخوة الخالصة ويوحد كلمتهم ويؤلف بين قلوبهم، وسيبقى كيان الأمة الاسلامية قويا في وحدتها وترابطها وتماسك بنيانها ما واظب المسلمون على أداء هذه الشعائر المفروضة بكل وعي وإخلاص وصدق وإن تباعدت أوطانهم وتعددت جنسياتهم.

خامسا: وحدة الأخلاق والقيم

إن الحديث عن الثابت والمتغير في البعد الاجتماعي لوحدة الأمة الاسلامية حديث له أهميته الخاصة باعتبار أن البعد الاجتماعي يستوعب قسطا كبيرا من تعاليم الإسلام، إذ أن جميع الممارسات السلوكية والآداب الخلقية ومظاهر التعامل الاجتماعي التي تتميز به الأمة الاسلامية وتمثل تشخصها الاجتماعي العام تندرج ضمن هذا البعد.

ومما لا شك فيه أن أخلاق الإسلام وقيمه تعمل جميعها على وحدة المسلمين وتنمية مشاعر الأخوة والمحبة بينهم، ويعتمد التشريع الإسلامي في بناء وحدة الأمة على المفاهيم الخلقية التي تبعث في المسلمين روح التكافل والتعاون، وتؤكد أخوتهم الصادقة وتُشعرهم بالمحبة والرحمة والشفقة التي تدفع عن مجتمعاتهم شر الفتن والمخاصمات والأحقاد، ولهذا جاء اهتمام الإسلام بتعميق المعاني السلوكية والقيمية الفريدة كالتقوى والحلم والنصح للمسلمين والإصلاح بينهم والتعاون والإيثار وتقديم العون عند الكروب والمصائب وإغاثة الملهوفين وحفظ كرامة المؤمنين والدعاء لهم بظهر الغيب.

وهكذا يحقق نظام الأخلاق والقيم في التشريع الإسلامي وحدة الشعور في الآلام والآمال، ويؤكد وحدة المسلمين وأخوتهم ويجعلهم يلتفون حول منظومة موحدة من الأخلاق والمبادئ والقيم تمحو كل آثار التعصب البغيض أو التفرقة.

وعلى هذا الأساس أيضا ندرك أن الأمة الإسلامية تتحمل مسؤولية عظيمة في تجسيد القيم والمثل الأخلاقية والإنسانية التي دعا إليها الإسلام على أرض الواقع، ومن الضروري لهذه الأمة التي تريد النهوض بهذه المهمة الثقيلة أن تعي متطلبات الدور التاريخي الذي تريد الحركة في أجوائه ولعل الذي يعطي للأمة هذا المستوى من الوعي هو معرفتها بخصائص المجتمع ونوعية القيم والأفكار التي تتحكم في صياغة مواقف أفراده وردود أفعالهم.

ختاما يمكن القول بأن الثوابت التي يشترك فيها المسلمون تعتبر أساسا لوحدة الأمة وتماسكها في جوانبها الاعتقادية والتشريعية والأخلاقية وضمانا لعدم خروجها عن الخيارات الكبرى .وبهذه المزية تستطيع الأمة الإسلامية أن تستمر وترتقي ثابتة على أصولها وقيمها وغاياتها، متطورة في أساليب معالجة المستجدات والمتغيرات، قادرة على بناء العلاقات الحضارية والإنسانية على دعائم متينة وأسس راسخة في إطار من الوحدة والتناغم دون أن تفقد خصائصها ومقوماتها الذاتية.

الإسلام والمسلمون في غامبيا

إعداد: توفيق محمد نصر الله

غامبيا هي إحدى الدول الإسلامية التي يشكل المسلمون فيها نسبة تقدر بأكثر من 90 % من مجموع السكان. دخلها الإسلام في القرن الرابع عشر الميلادي، فالتجار العرب والبربر الذين يأتون من شمال غرب القارة الإفريقية عن طريق الصحراء لتسويق بضائعهم كانوا في الأصل مسلمين، ولذا استطاعوا بفضل الله نشر الدين الإسلامي بين أهالي غامبيا.

ولأهمية هذه الدولة على صعيد العمل الإسلامي فقد افتتح معالي الأمين العام لرابطة العالم

المجتمع الغامبي مجتمع محافظ ومسالم ومتسامح ومنفتح على الغير

الإسلام هو الدين الأكثر انتشارًا في غامبيا حيث يشكل المسلمون نحو ٩٥٪ من عدد السكان

الإسلامي، الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى، أخيراً في العاصمة بانجول، بحضور فخامة رئيس جمهورية غامبيا السيد أداما بارو، المؤتمر التاريخي لعلماء المسلمين بإفريقيا، الذي جمع للمرة الأولى كبار المفتين ووزراء الشؤون الدينية في القارة الإفريقية، لتنسيق جهودهم في تعزيز الوئام المجتمعي ومعالجة تحديات الأمن والتنمية، ولا سيما مواجهة موجات التطرف والعنف والإرهاب، من خلال بيانهم الشرعي الذي يدحض دعاوى تلك الأفكار الضالة ويرسي قيم الاعتدال.

المجتمع الغامبي

تسكن غامبيا ست مجموعات قبلية، وهي قبائل ماندنكا والفولا والولوف والجولا والسرنخولي والسيرير. وتدين معظم هذه القبائل بالإسلام، وتعمل أساساً في الزراعة، حيث يشكل العاملون في قطاع الزراعة ما نسبته 80 % من السكان، والذين يجيدون القراءة والكتابة نسبتهم 40 % من مجموع عدد السكان. ويوجد إلى جانب السكان الأصليين جاليات عربية من موريتانيا ولبنان تنشط في التجارة. وتتصف دولة غامبيا بالتسامح الديني، إذ يعد المجتمع الغامبي مجتمعاً محافظاً ومتسامحاً ومنفتحاً على الغير.

الدين واللغة

يتبع أكثر المسلمين في هذا البلد المذهب السني، ويتخذون المذهب المالكي مذهباً في الفقه والمعاملات والعقود، وتشكل المسيحية نسبة (4 %)، والأديان الأخرى نسبتها (1 %)، وقد كفل الدستور الغامبي حرية اختيار الدين.

ويعود ازدياد عدد المسلمين في غامبيا إلى حد كبير لجهود الدعاة المسلمين في القرن الـ 19، والفترة السلمية خلال الاستعمار البريطاني. أما اللغة الرسمية في البلاد فهي اللغة الإنجليزية، ومع ذلك فهي ليست اللغة الأولى لمعظم سكان البلاد، حيث يتحدث 38 % من السكان بلغة الماندنكا، وهي أكثر اللغات المستخدمة في غامبيا، تليها البولار، ويتحدث بها 21 %، تليها الولوفية ويتحدث بها 9 % من السكان. ويوجد في غامبيا موقعان مدرجان ضمن مواقع التراث العالمي لليونسكو، وهما الدوائر الحجرية في سينيغامبيا وجزيرة جيمس.

التعليم في غامبيا

كان التعليم الإسلامي في غامبيا يتبع الطريقة التقليدية، حيث يجلس التلاميذ في حلقة وفي وسطها المعلم الذي يكتب الدرس على الألواح، وقد بدأت هذه الصورة تتغير بوجود المدارس العربية الحديثة في جميع ربوع البلاد، والتي أنشئت على يد خريجي الجامعات الإسلامية العربية.

يؤكد حاجي شيخ تونكارا في بحث له بعنوان مشكلات التعليم في غامبيا أن التعليم الإسلامي دخل غامبيا مع دخول الإسلام، وكان التعليم الإسلامي أول نظام تعليمي معروف لدى الغامبيين قبل الاستعمار بقرون، فلا تكاد تجد في تلكم القرون قرية من قرى المسلمين إلا وفيها كتاتيب أو مجالس لتعليم الإسلام. وكانت اللغة العربية لغة القرآن وفقه العبادات ومبادئ التوحيد والقراءة والكتابة.

وقد لعبت الكتاتيب والمجالس الإسلامية دوراً تاريخياً في نشر التعليم الإسلامي الأساسي وحمايته، وتخريج الأئمة والدعاة والعلماء الذين كرسوا جهودهم في تعليم الناشئين وتأليف الكتب في الإسلام واللغة العربية. وكانت اللغة العربية لغة العلم والثقافة وتدوين التاريخ والمراسلات، وظل الناس يتبادلون الرسائل إما باللغة العربية أو باللغة المحلية بالحروف العربية، وبقيت اللغة العربية قوية في غامبيا حتى في ظل الاستعمار البريطاني، وخاصة في المناطق الريفية، إذ رفض جل الآباء إرسال أبنائهم إلى المدارس الاستعمارية الإنجليزية.

ظهور المدارس العربية في غامبيا

في بداية الستينيات وبعد وصول أوائل خريجي المعاهد الإسلامية في العالم العربي والبلدان المجاورة مثل السنغال وموريتانيا؛ ظهر نظام تعليمي جديد عرف بـ(مدرسة)، وهي تعليم نظامي يستخدم اللغة العربية لغة للتعليم، وتقوم مناهجها على المواد الإسلامية واللغة العربية وبعض المواد العصرية. وقد أعطت المدارس العربية في غامبيا أو (مدرسة) كما يسميها العوام وجهاً جديداً للتعليم الإسلامي الأساسي لأولاد المسلمين في غامبيا، والحفاظ على التراث الثقافي الإسلامي.

وتبدأ الدراسة في المدارس العربية بالتمهيدي للأطفال في سن الرابعة أو الخامسة لمدة سنة أو سنتين، حسب مستوى وسن المدارس، ثم ست سنوات في الابتدائية، وثلاث سنوات في المرحلة الإعدادية، وثلاث سنوات في المرحلة الثانوية. وغاية المدرسة العربية تزويد الدارس بالمعلومات الأساسية عن الإسلام واللغة العربية ليعرف دينه ويعمل به على الوجه الصحيح، وكذلك غرس الأخلاق والسلوكيات التي دعا إليها الإسلام، وتعليمهم العلوم العصرية وتدريبهم على المهارات التي تمكنهم من المساهمة في التنمية الوطنية والتمتع بالحياة الأفضل والسعادة في الدارين. وبعد أن نالت

يتبع أكثر المسلمين المذهب السني ويتخذون المذهب المالكي مذهبا في الفقه والمعاملات والعقود

لعبت الكتاتيب والمجالس الإسلامية دورا تاريخيا في نشر التعليم الإسلامي وحمايته

غامبيا استقلالها من بريطانيا عام 1965م بدأت العديد من البلدان، بما في ذلك البلدان العربية، تقيم علاقات دبلوماسية وثقافية مع غامبيا، وتمدها بمنح دراسية في مختلف المجالات، بما فيها مجال التعليم الإسلامي الذي حظي بدعم كبير على شكل منح دراسية. وكانت هذه المنح تأتي بشكل رئيسي من بعض البلدان الخليجية والعربية، منها المملكة العربية السعودية والأزهر في مصر والكويت وغيرها من البلدان العربية. وقد أعطت هذه المنح فرصة للطلاب لتعلم العلوم العربية والإسلامية ومواصلة دراستهم الجامعية، مما شدّ اهتمام الآباء من جديد بالتعليم الإسلامي.

أبرز المؤسسات الإسلامية

المجلس الإسلامي الأعلى في غامبيا

تأسس المجلس الإسلامي الأعلى في غامبيا عام 1992م من قبل نخبة من العلماء في البلاد، بغرض توحيد أعمالهم وأنشطتهم في المجال الإسلامي في غامبيا في مختلف المجالات، مثل التعليم وممارسة العمل الإعلامي. وقد قبلت حكومة غامبيا رؤية هذا المجلس وأهدافه وأوصت بأن يصبح هيئة استشارية للحكومة في القضايا المتعلقة بالإسلام. ويعتبر هذا المجلس الهيئة المسؤولة عن جميع المنظمات والجمعيات الإسلامية التي تقوم بأنشطة دعوية في غامبيا والمراكز والمؤسسات الإسلامية والمساجد فيها.

جمعية الدعوة والتعليم الإسلامي في غامبيا

"جمعية الدعوة والتعليم الإسلامي في غامبيا" هي مؤسسة دعوية تهتم بتنفيذ الأنشطة الدعوية والتعليمية، وبنشر المواد الدعوية والشرعية والمحاضرات لمجموعة من الدعاة.

جمعية العون المباشر

بدأت جمعية العون المباشر (لجنة مسلمي إفريقيا) سابقا أعمالها في عام 1981م كمؤسسة تطوعية غير حكومية مهتمة بالتنمية في الأماكن الأكثر احتياجاً في إفريقيا، وهي تهتم بالتعليم بكل أنواعه، لتغيير الوضع الذي يعيشه الإنسان في إفريقيا، وتعمل تحت شعار (التعليم حق مشروع لكل طفل في إفريقيا).

ومن المساجد المعروفة مسجد (Pipeline Mosque)، ويقع في مدينة سوكوتا، وهو يشتمل على مسجد ومدرسة ووكالة رعاية اجتماعية ومعهد إسلامي.

وهناك المدرسة الثانوية الإسلامية في غامبيا، والتي تأسست في باجول عام 1975م، وقد جاءت فكرتها من رغبة جمعية مسلمي غامبيا (GMA) في تلبية احتياجات تعليم شباب غامبيا المسلمين الذين لم يتمكنوا من الالتحاق بالمدارس الرسمية آنذاك. فبدأت مدرسة عربية استضافتها مدرسة محمدان الابتدائية في باجول عام 1966م.

وتوجد مدرسة أهل القرآن في غامبيا، وتُعنى بتحفيظ كتاب الله تعالى، وتعليم التجويد وعلوم القرآن الكريم للمنتسبين إليها.

ويعد مسجد باجول المركزي أحد أهم المساجد في باجول العاصمة، وقد تم تشييده سنة 1988م.

هكذا نستفيد من خطبة الجمعة

بقلم: عبد الحميد محمد الراوي
كبير أئمة بوزارة الأوقاف المصرية

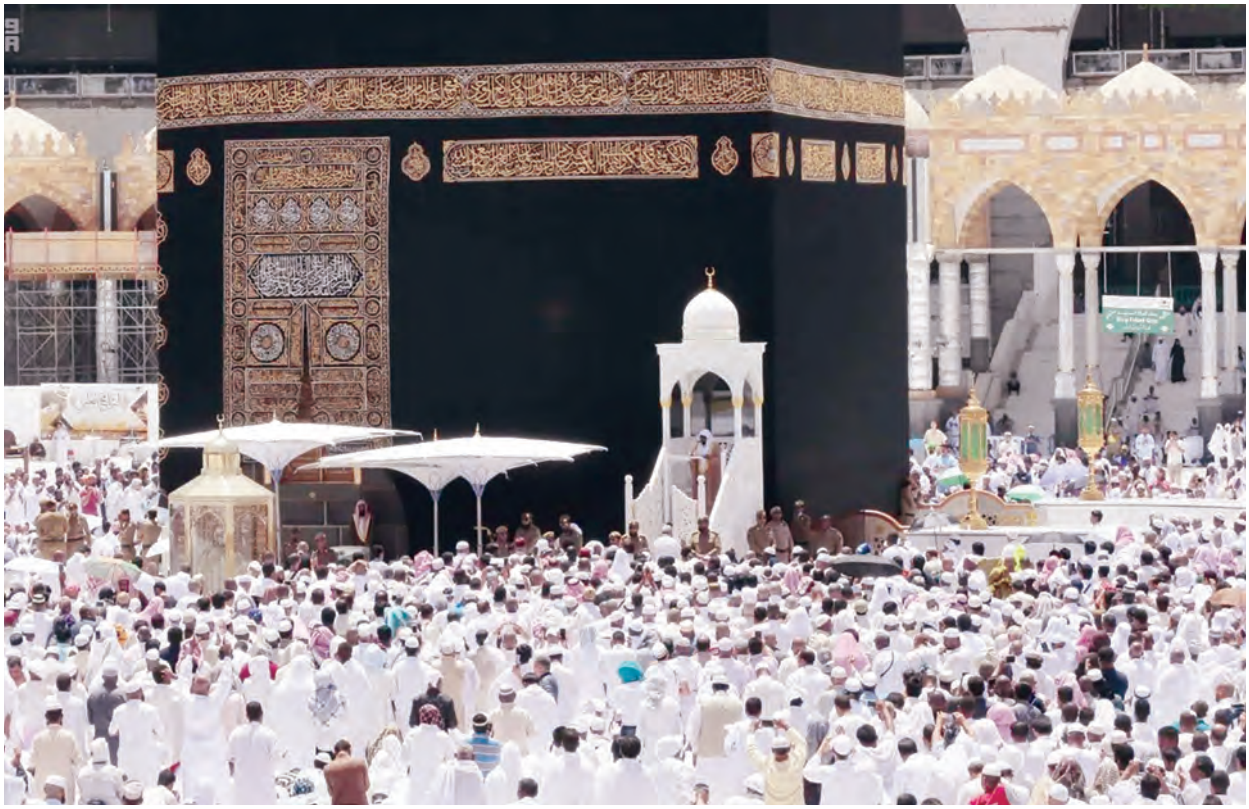

المتأمل في واقع خطبة الجمعة اليوم في كثير من بلدان العالم الإسلامي، لا يجد في الغالب الأعم المحتوى الذي يجذب المستمع إليها، ويستفيد منها الفائدة المرجوة.

إن وقت الجمعة قد حرم الله فيه البيع والشراء وكل الأعمال المباحة، وقد كان من رفعة شأن هذه الشعيرة أن تكون كفارة لما يمكن أن يعرض للمسلم من آثام طيلة أسبوعه الذي مضى. من أجل ذلك كان الصعود إلى منبر كان يصعد على مثله رسول الله صلى الله عليه وسلم أمانة ومسؤولية، يسأل عنها كل خطيب يوم يقوم الناس لرب العالمين.

ولعل الاندفاع للحديث عن الدور التربوي لخطبة الجمعة، هو في الواقع، من منطلق الهم الذي يشغل بال جيلنا الذي يتعرض للكثير من المؤثرات،

الساعي للخلاص من المشكلات التي تواجه حياته. فعودة المسجد للقيام بدوره الحضاري والإنساني، تعد هي البداية السليمة في مجال التوجيه والإرشاد. وينبغي أن يكون المسجد محور التغيير في حياة المسلمين. وليست هناك مؤسسة ترقى إلى العطاء التربوي، وتنفذ إلى نفوس الشباب وتخالط مشاعرهم وتوجههم مثل المسجد، لما يشيعه من نفحات إيمانية، وما يرتبط به من اطمئنان نفسي وراحة قلبية، فالصوت الذي ينبعث من المنبر، تردده جنبات المسجد.

في رحاب الموعد الأسبوعي

خطبة الجمعة في الحقيقة، فرصة ثمينة على الخطيب استغلالها بفقه وذكاء، حتى تؤتي ثمارها، وتحقق أغراضها، ولن يكون ذلك إلا إذا وضع الواعظ لخطبته منهجاً واضحاً، وحدد لنفسه أهدافًا مضبوطة تتماشى مع محيطه الاجتماعي، والمستوى الإدراكي لسامعيه، وما أحسن أن يعالج الخطيب موضوعاً واحداً في سلسلة من الخطب، يذكر في بداية كل خطبة بالعنصر الذي تم التعرض إليه في الخطبة الماضية، ومتسائلاً عن مدى تأثير ذلك في سلوك الأفراد والجماعات.

ولعل خير ما يستعين به الواعظ لإنجاح خطبته مراعاته ما أمكن للشروط التالية:

- الاستئناس بالأمثلة الملموسة والأدلة الواضحة.

- ربط المستمعين بوقائع دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم في سيرته العطرة، وبصور من أمجاد المسلمين، حتى ترجع للمسلمين ثقتهم بأنفسهم ورسالتهم العالمية.

- التعرض بين الفينة والأخرى للانحرافات الاجتماعية السائدة في المحيط القريب من السامعين، والتماس الحلول من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

- الابتعاد عن الألفاظ الغريبة، والمعاني الشاذة، وكذا عن الأمور الخلافية، ورفع الصوت في مواطن وخفضه في أخرى حسب المعنى.

- الحرص على ضبط ما ينقل من روايات واستشهادات.

- الإيجاز الذي يعين على تثبيت الحقائق، وإيصالها إلى السامع بيسر، لأن الكلام الكثير ينسي بعضه بعضًا.

- استيعاب الخطبة بشكل جيد، ومراجعتها قبل الصعود للمنبر تفادياً للتلعثم والارتباك الذي يذهب بفائدة العديد من الخطب.

مزالق خطيرة

جسامة مسؤولية الخطيب تكمن في أنه يصبح محط أنظار الناس، ومنبع قدوتهم، يُحصون عليه حسناته وسيئاته، لذا، فعلى الخطيب الواعظ أن يصدق فعله قوله، لأن الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان.

قال ابن عباس رضي الله عنه: "ما انتفعت بكلام أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انتفعت بكلام كتبه إليَّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كتب إلي يقول: "أما بعد، فإن المرء يسره إدراك ما لم يكن ليفوته، ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه، فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك، وليكن أسفك على ما فاتك منها، وما نلت من أمر دنياك فلا تكن به فرحاً، وما فاتك منها فلا تأس عليه جوعاً، وليكن همك ما بعد الموت" (١- العقد الفريد: م٣ ص ٧٧).

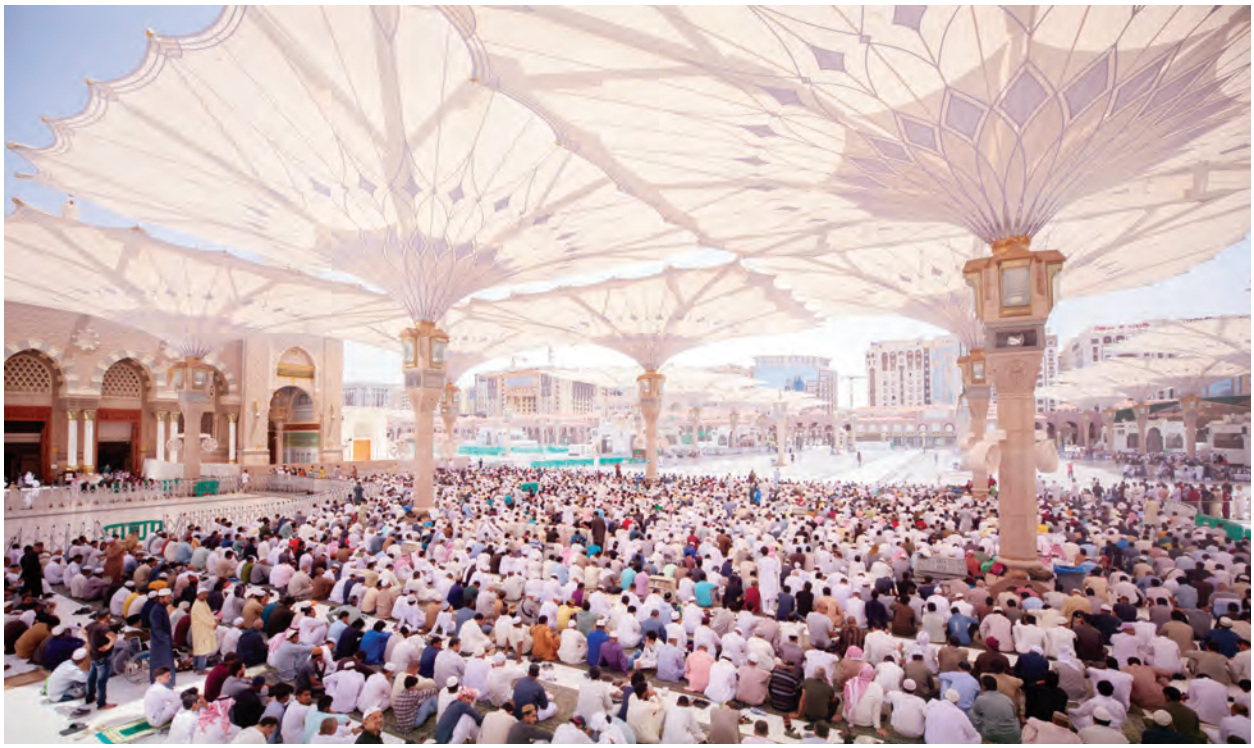

وقال أبو الأسود الدؤلي في باب صدق الواعظ والعمل به قبل تبليغه:

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها
فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك تعذر إن وعظت ويقتدى
بالقول منك ويقبل التعليم

وما يحكى عن الحسن البصري رحمه الله في هذا الصدد، أنه حضر ذات مرة خطبة أحد الوعاظ، غير أن موعظة الرجل لم تحرك فيه ساكناً، فلما أنهى الواعظ كلامه قام إليه الحسن البصري قائلاً: "يا هذا، إما أن بقلبي شيء أو بقلبك شيء"، وهو الذي كتب إليه الخليفة عمر بن عبدالعزيز يقول: "اجمع لي أمر الدنيا، وصف لي أمر الآخرة"، فكتب إليه الحسن البصري يقول: "إنما الدنيا حلم، والآخرة يقظة، الموت متوسط، ونحن في أضغاث أحلام، ومن حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن نظر في العواقب نجا، ومن أطاع هواه ضل، ومن حلم غنم، ومن خاف سلم، ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فهم، ومن فهم علم، ومن علم عمل، فإذا زللت فارجع، وإذا ندمت فأقلع، وإذا جهلت فاسأل، وإذا غضبت فأمسك، وأعلم أن أفضل الأعمال ما أكرهت النفوس عليه" (المرجع نفسه).

فما أحوج الكثير من وعاظنا إلى استلهام معاني هذه الموعظة، وتبليغ مقاصدها إلى العامة والخاصة، لأنه بغير الوعظ الصادق والتبليغ الأمين، لن يكون لخطبة الجمعة أثر، وتظل شعيرة مفروغة من محتواها الحقيقي والأصيل.

وعلى الخطيب الواعظ ألا يستغل مكانته بين الناس لتحقيق مكاسب مادية أو مصالح شخصية، وأن يتورع عن مواطن الشبهات. وتحضرني هنا حكاية طريفة قرأتها منذ فترة، عن خطيب جاء ذات مرة إلى السوق لقضاء بعض الحاجات، ولما تعامل معه التاجر معاملة عادية، قام إليه أحد الجالسين بجوار

الدكان، وقال لـه "ألم تعرف الشـيخ؟ إنه العالم الجليل والواعظ البليغ. وال..." وقبل أن يكمل الرجل كلامـه، انصرف الخطيـب مسـرعاً، فتبعه الرجل صائحاً "يا شـيخ، يا سـيدنا ماذا وقع لك؟ فأجابه الشـيخ دون أن يتوقف إليك عني، إني أريد أن ابتاع بمالي، لا بديني".

من خطب النبي صلى الله عليه وسلم

عـن جابر رضي الله عنه قال، كان رسـول الله صلى الله عليه وسـلم إذا خطـب احمرت عينـاه، وعلا صوته، واشـتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول "صبحكم ومسـاكم"، ويقول: "بعثت أنا والساعة كهاتين" ويقرن بين أصبعيه السـبابة والوسـطى، يقول: "أما بعـد فإن خير الحديث كتـاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسـلم، وشـر الأمور محدثاتها، كل بدعة ضلالة".

وقال ابـن قتيبة في عيون الأخبـار "تتبعت خطب رسـول الله صلى الله عليه وسـلم فوجـدت أوائل أكثرها "الحمـد لله نحمده، ونسـتعينه، ونؤمن به ونتـوكل عليه، مـن يهده الله فلا مضـل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له".

ووجدت في بعضها "وأوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحثكم على طاعته". ووجدت كل خطبه مفتاحها الحمـد، إلا خطبـة العيد، فإن مفتاحهـا التكبير" (انظر عيون الأخبار).

وفي خطبة للرسـول صلى الله عليه وسلم قال: "إن الحمـد لله أحمده وأسـتعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسـيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له".

فإن الحاجة أصبحت ملحة أكثـر من أي وقت لرفع

مسـتوى خطبة الجمعة، إلى المرتبة التي تقارب ما بلغتها مع رسـول الله صلى الله عليه وسلم، يوم كان المسجد منبع إشعاع الإيمان، والعلم، والصلاح، والمرتع الذي تربى فيه الجيل القرآني الفريد في تاريخ الأمم جميعًـا، جيل الصحابة رضـوان الله عليهم، الذيـن كانوا مثالاً حيـاً لخير أمة أخرجـت للناس، واندفعوا إلى مختلف أقطار الأرض علماء، وخلفاء، وقادة أقاموا الدين والدنيا على حد سـواء، والدعوة الإسلامية اليوم تقتضي أن يكون خطيب المسجد أول المساهمين في إيقاظ شعور الناس، وتنبيههم إلى ما في نصوص الشريعة، وأحكامها من سمو، وإلى ما في الإسـلام من أخلاق وحكم، فقد "تقدم الزمن بالمجتمعات، وليـس بمعقول أن يكون خطيب المنبر هـو نموذج المتعلم الأمي في مجتمع المثقفين المعاصر، فيصير المنبر علامة على التخلف العقلي، وأضحوكـة تقترن بالرثاء، يضحـك عليها الصغار، ويبكي عليها الكبـار"، كما عبَّر دكتور عبد الصبور شاهين وهو يقدم لخطب الشيخ محمد الغزالي.

التسامح في النفوس قبل النصوص

بقلم: السيد محمد علي الحسيني
الأمين العام للمجلس الإسلامي العربي

خلق الله تعالى الإنسان وجعل منه أقواماً وشعوباً ومجتمعات، فتنوّعت بذلك أفكارها ومعتقداتها، وأصبح الاختلاف أمراً حاصلاً مع هذا التنوع. لكن الجانب المظلم من الإنسان كونه يحب السيطرة بآرائه وإقصاء المخالفين له، شكّل حالة من الخوف والإرباك في عمق المجتمعات التي باتت تواجه حالة من الصراع بسبب حدة الأفكار وعدم معرفة التعامل مع هذا الواقع. وهنا جاءت الرسالة من السماء لرسله ليبينوا للناس أنهم خلقوا شعوباً وقبائل ليتعارفوا "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم". ومن هنا شرح المولى عزّ وجلّ أن الاختلاف بين عباده هو لأجل التعارف وتبادل الخبرات والثقافات، لما فيه خير للإنسان، ولن يكون ذلك إلا من خلال ثقافة التسامح وتعزيزها وتقبُّل الآخر كما هو والانفتاح عليه.

إن ثقافة التسامح في حياتنا مهمة جداً، ونحن بحاجة ماسة إلى زرعها في سلوكنا وإدراك قيمتها في أعماقنا، فالشعور بالتسامح النفسي والذاتي مهم للغاية، فقبل كل شيء علينا أن نشعر بهذه القيمة العظيمة داخلنا حتى يمكن لنا أن ننشرها ونُعرِّف بها الآخرين. ولا شك أن التسامح خلق إنساني وإسلامي دعت إليه كل الأديان السماوية، والإسلام ركّز عليه منذ بداية الدعوة، فاعتبره أساساً ومنهجاً فيه، فقد قال سبحانه وتعالى: "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن".

إن خلق التسامح يجب أن يظهر جلياً في أقوالنا وأفعالنا، فنجد أن الإسلام دعا إلى إفشاء السلام بين الجميع في سلوك يعكس التسامح اللفظي، فهو القائل سبحانه: "وإذا حييتم بتحية فحيُّوا بأحسن منها أو ردوها"، ولا شك أن الصفح من مظاهر التسامح في الإسلام، وهذا ما أكده الله تعالى في قوله: "فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون". ودعا إلى عتق العبيد في مظهر من مظاهر التسامح الفعلي، ودعا إلى الإحسان والبر والقسط مع غير المسلمين في قوله: "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين".

وبناءً عليه نُشرت الكثير من المقالات والخطابات، وأطلقت المنتديات والفعاليات التي تتعلق بالتسامح، والتي فعلاً أصبحت ظاهرة إيجابية تتردد على الألسن وعلى المنابر وفي وسائل الإعلام.

إننا بمناسبة يوم التسامح الدولي مطالبون بتفعيل هذه القيمة أكثر حتى لا تبقى حبراً على ورق، أو تبقى أسيرة الغرف المغلقة، بل نحن مدعوون جميعاً للتحرك لما فيه خير وفائدة مرجوة ومنفعة عملية، وعلينا أن نبدأ من أنفسنا ومحيطنا وبيئتنا، وينبغي أن نكون فاعلين على مستوى أحيائنا ومدارسنا، بل وحتى على الفضاء الافتراضي لنشر التسامح بيننا كأسلوب ومنهج حياة يساهم في تسهيل علاقاتنا مع بعضنا البعض، ومع الآخرين الذين يختلفون معنا، إن كان من الناحية العقائدية أو الفكرية أو مهما كان نوع الاختلاف، فالتسامح هو قيمة تقودنا إلى بر الأمن والأمان، بعيداً عن كل الاضطرابات المتوقعة.

رابطة العالم الإسلامي

MUSLIM WORLD LEAGUE